وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عمار ثليجي

كلية العلوم الانسانية و الإجتماعية

قسم التاريخ

الموضوع :

أوضاع بايلك الشرق في عهد صالح باي (1771-1792)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

التخصص : تاريخ المغرب العربي الحديث و المعاصر

إعداد:

- أميرة العقون
- فاطمة العون

بإشراف

- أ/ عبد الرحمان قفاف

لجنة المناقشة

الأستاذ :.....محمد بن سعيـــدان ..... رئيســــــــا

الأستاذ :.....عبد الرحمان قفـاف ..... مشرفا و مقررا

الأستاذ :.....محمـــــد اليزيـــر ..... منـــــــاقشا

السنة الجامعية 2016/2015ـــة

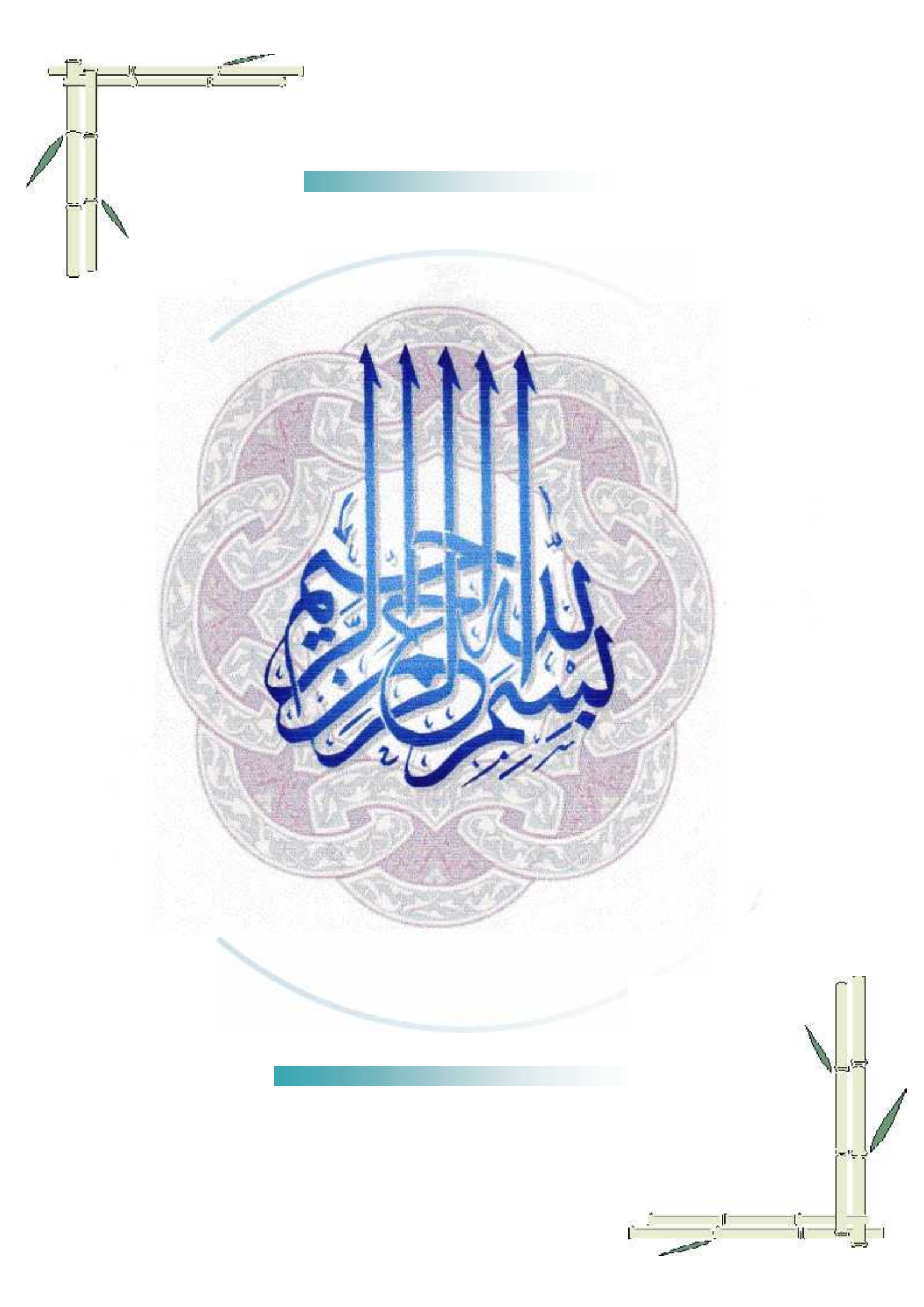
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

• يشرفني أن أتقدم بإهداء ثمرة جهدي إلى الذي خلقني فسواني وأكرمني إذ هداني إلى من أناجي وأقول يارباه وهو الكريم يجيب من دعاه فلا إله إلا الله أخلو بها لوحدي و لا إله إلا الله أدخل بها قبري و لا إله إلا الله ألقى بها ربي.

• إلى الذي أحببته ولو أراه إلى الذي أهداني طريقه ومنهجه إلى الذي تربيت على يديه من خلال سيرته إلى أفضل من مشى على الأرض هو مثلي الأعلى إليك خير الأنام سيد الخلق حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم .

• كما أهديها إلى من علمني الكرامة وغرس فيا الوفاء والإخلاص إلى من رسم بكفاحه أحلامي وشيّد بشقائه صرح النجاح أمامي إلى رمز الصبر إلى من كان سببا في وصولي إلى قمة النجاح .و إسمه يحويه حمي بكل إفتخار إلى عزة نفسي أبي "محمد" الغالي أدامه الله في حفظه و رعايته وشفاه شفاءا لا يغادر سقما .

• وأهديها إلى من فتحت أبواب الجنة لما إلى من وقفت بجانبي تنير الطريق وتذلل الصعاب و التي مهما فعلت ومهما قلت لن أوفيها قدرها إلى التي تعذبت حتى أنجبت وربيت حتى تعبت وأرضعتني من حليب صدرها الوافر وضحت بسعادتها لأجلي أمي "خضرة" الغالية أدامها الله في حفظه ورعايته وشفاها شفاءا لا يغادر سقما .

• إلى التي وسعني حجرها في صغري إلى نبع الحنان الذي سقتني به عطفا إلى اليد التي غمرتني بكرمها فأضحت أعز ماقي حياتي والتي ربتني وتحضر هي حين تغيب أمي زوجة أبي الغالية " فاطنة " .

• إلى من يرتعش قلبي عندما يذكر اسمك امامي الى سندي في حياتي والذي تذوقت معه اجمل اللحظات الى الذي جعلني أمشي وأثق فيمن حولي إلى الذي لوكانت الشهادة تمنح لكان أول من يستحقها إلى الذي به تطيب الدنيا الى الذي رعاني وحافظ عليا ووقف بجانبي عندما احتجته خطيبي "أمين" وفقه الله وحفظه وأدامه لي .

• إلى اخوتي وزجاتهم واخواتي وازواجهم واولادهم جميعا. وخاصة سراجي المنير أخي "عمر" ومهجة قلبي زوجته "حياة " .

• إلى أختي التي لو تلدهما أمي الى من تحملت معي عناء هذا البحث الشاق "فاطنة العقون" وإلى زوجها الكريم "جلول" حفضهما الله ورزقهما الهناء والسعادة ان شاء الله.

•و إلى الشمس التي أشرقت في ظلامي "سعاد قديو"و"فاطنة بلقشوة" و إلى بهجة حياتي وشعلة دربي"العايزة كروه" ، وفي الختام ويقال ختامها مسك و المسك رفيقة الدرب "ايمان العقون".

•إلى من اجتمعوا على طاعة ربهم وتعاهدوا على نصرة دينهم فأخلصوا وصدقوا إلى الغيورين على أمتهم حاضرها ومستقبلها إلى الذين قضوا نحبهم من أجل إعلاء كلمة الله ، إلى كل من أحبه أو أحبها في الله إلى كل يد تتصفح هذا العمل إلى كل من يبادلني الاحترام إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي أهدي ثمرة جهدي هذا.

أميرة

كلمة شكر

{ رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين }
سورة النمل : الآية 19

• إلهي لاتطيب اللحظات إلا بذكرك ولا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ولا تطيب الجنة إلا برؤياك .... اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا و لك الحمد على كل حال .

• الحمد لله الذي تواضع لقدرته كل شيء، وخضع لملكه كل شيء والصلاة والسلام على إمام المتقين وقائد المجاهدين محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وعلى آله وصحبه الغر الميامين ، وبعد :

• فلا يسعنا بعد أن أكرمنا العلي القدير بإتمام هذه الدراسة إلا أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان وأسمى عبارات التقدير إلى مقام أستاذنا المشرف "عبد الرحمن قنافد" الذي طالما كان بمثابة الأب الناصح ولم يبخل علينا بإشرافه وتوجيهاته القيمة لإنجاز هذا البحث بصورته النهائية .

• وفي مقام الاعتراف بالفضل والجميل أتقدم بأجمل عبارات الشكر إلى جميع الأساتذة في قسم العلوم الإنسانية وتاريخ الذين أخذوا بأيدينا إلى سبيل النجاح والتفوق .

• كما أتوجه بعميق الثناء و التقدير إلى كل من أعانني في دراستي فتحمل عناء تخرجي وكان سببا في وصولي لهذه المرتبة ، وكل من ساهموا بالرأي و المشورة بجهد مهما كان حجمه فليبارك الله لهم في أعمالهم ويثبتهم على طريق الفلاح في الدنيا و الآخرة و جزاهم الله كل خير.

الإهـــداء

يشرفني أن أتقدم بإهداء ثمرة جهدي إلى الذي خلقني فسواني وأكرمني إذ هداني إلى من أناجي وأقول يارباه وهو الكريم يجيب من دعاه فلا إله إلا الله أخلو بها لوحدي و لا إله إلا الله أدخل بها قبري و لا إله إلا الله ألقى بها ربي.

• إلى الذي أحببته ولم أراه إلى الذي أهداني طريقه ومنهجه إلى الذي تربيت على يديه من خلال سيرته إلى أفضل من مشى على الأرض هو مثلي الأعلى إليك خير الأنام سيد الخلق حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم .

إلى النور الساطع الذي أنار دربي وذلل الصعاب التي اجتاحت طريقي إلى الذي يعود له الفضل بعد الله في نجاحي إلى الذي علمني أن السلاح هو القلم وأضاء مستقبلي، وكان سندي المادي والمعنوي رمز التضحية والجهاد ومثلي الأعلى والدي"سالم"

إلى من حملتني وهنا على وهن إلى من وضعت الجنة تحت قدميها، إلى من أهدتني الحنان وهمست لي بأعذب ماتنطق به الشفاه، إلى التي تنبأت لي بالنجاح وبدعائها أنارت لي دروب الفلاح والدتي"رقية"

فاربي احفظهما لي

إلى الروح التي سكنت روحي إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان إلى شمس أيامي وقمر ليالي إلى من تحمل دلالي ولم يرض لي بغير المعالي فأنار لي دربا مرصعا بالآليء واخذ بيدي لمنتهى آمالي إلى خطيبي وزوجي مستقبلا "جلول العقون" حفظه الله وأدامه لي .

إلى نجمات السماء المضيئة وسندي في الحياة أختي الغالية"هاجر"و زوجها"معمر"، إلى أعذب هبة في الوجود إلى الجوهر الثمين من أدخل الفرح والسرور أول حفيد"اسلام" حفظه الله ورعاه

إلى غالي الحب والإخاء أختي العزيزة"إيمان" وأتمنى لها النجاح في الحياة العلمية والعملية

إلى قناديل حياتي المضيئة إلى البلابل دائمة التغريد إلى قرة عيني أخي زياد أتمنى له النجاح وأخي الصغير المدلل بلال حفضه الله وأدامهم لي

إلى أختي التي لم تلدهما أمي الى من تحملت معي عناء هذا البحث الشاق "أميرة العقون" و خطيبها أمين حفضهما الله ورزقهما الهناء والسعادة ان شاء الله. و إلى الشمس التي أشرقت في ظلامي "سعاد قديم"و"فاطنة بلقشوة " حنان يحياوي"و"العايزة كروم"

إلى كل الأخوال و الخالات و الأعمام والعمات وجميع عائلاتهم •إلى من اجتمعوا على طاعة ربهم وتعاهدوا على نصرة دينهم فأخلصوا وصدقوا إلى الغيورين على أمتهم حاضرها ومستقبلها إلى الذين قضوا نحبهم من أجل إعلاء كلمة الله ، إلى كل من أحبه أو أحبها في الله إلى كل يد تتصفح هذا العمل إلى كل من يبادلني الاحترام إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي أهدي ثمرة جهدي هذا.

فاطمـــة

قائمة المختصرات	
د.د.ن	دون دار نشر
د.م.ن	دون مكان نشر
د.ت	دون تاريخ
تح	تحقيق
ص	صفحة
opit	المرجع السابق

مقدمة:

يعد إقليم قسنطينة من أكثر الأقاليم الجزائرية ثروة وخصبا ومن أوسعها مساحة، وبفضل هذا الموقع الاستراتيجي ،لعب دورا كبيرا في زيادة الحركة التجارية وتيرة النهضة العلمية والفكرية ، كما عرفت هذه المدينة العديد من الشخصيات البارزة في العهد التركي ارتبط اسمها باسم المدينة وتاريخها، ومن بين أهم هذه الشخصيات " صالح باي" الذي كان له دور كبير في صناعة تاريخ هذه المدينة العريقة، وذلك لما قدمه لبايليك الشرق من خدمات جليلة ظلت تخلد ذكراه من بينها الاستقرار السياسي.

ولعل أهم سبب جعلنا نبحث في شخصية هذا الحاكم هو أنه يعتبر آخر البايات في تاريخ قسنطينة، والذي كان ذو شأن رفيع ومكانة مرموقة ،بالإضافة إلى سيرة حياته المليئة بالمآثر والتي تدفع الباحث إلى الاهتمام بأحداث حياته وجوانب شخصيته المتميزة، فمن هو صالح باي؟ وما هي أهم الأعمال التي قدمها لمدينة قسنطينة؟.

وقد بدأنا بحثنا هذا بمقدمة للموضوع ثم قسمناه إلى أربعة فصول بالإضافة إلى الفصل التمهيدي الذي يتحدث حول الموقع الجغرافي لبايليك الشرق، وبداية حكم الأتراك لهذا البايلك، ثم الأوضاع العامة التي كانت سائدة فيه، أما الفصل الأول فتحدثنا حول

صالح باي وتوليه الحكم من خلال التطرق إلى جوانب حياته انطلاقا من مولده ونشأته وعائلته ، بالإضافة إلى طريقة توليه الحكم .

أما الفصل الثاني فتحدثنا عن جهوده الاقتصادية و العسكرية ، من خلال المجال الزراعي والصناعي والتجاري والضريبي ،بالإضافة إلى جهوده العسكرية المتمثلة في حملاته الداخلية و الخارجية .

أما بالنسبة للفصل الثالث فتطرقنا إلى جهوده الثقافية في بايلك الشرق، من خلال بناءه للعديد من المرافق من بينها المساجد والمدارس، بالإضافة إلى الأحياء و الجسور، ومؤسسات الأوقاف.

وأما الفصل الرابع فتحدثنا عن الأوضاع العامة التي سبقت وفاته وتمثلت في خيانة الخزناجي، والأسباب الحقيقية التي أدت إلى مقتله، بالإضافة إلى وفاته، كما تطرقنا إلى مصادرة أمواله، وختمنا بحثنا هذا بخاتمة وهي كاستنتاج عام للبحث.

ولقد اعتمدنا في بحثنا هذا على عدة مصادر ومراجع سواء بالعربية أو الفرنسية بالإضافة إلى رسائل ماجستير وكذلك بعض المجلات ونذكر بعض المصادر : أحمد الشريف الزهار "مذكرات نقيب الأشراف"، أما المراجع فنذكر منها: ناصر الدين سعيدوني ،ورقات جزائرية الذي أفادنا كثيرا في معظم العناصر المذكورة في هذه الدراسة، ومحمد الهادي العروق ، مدينة قسنطينة ، الذي تحدثنا فيه كثيرا على جغرافية بايلك الشرق، بالاضافة الى :

Vayssettes : « histoir de Constantine »

أما الرسائل الجامعية نذكر منها مذكرة ختو أم الخير ، صالح باي (1771-1792) .

وقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي لأنه يتم من خلاله جمع وعرض المعلومات وتحليلها قدر الامكان، ومن ثم الخروج باستنتاجات واجابات تزيح الغموض عن الإشكال المطروح، وعليه يعد هذين المنهجين الأنجح في تحقيق المبتغى من هذه الدراسة.

وكأي دراسة لا تخلو من صعوبات ففي دراستنا واجهتنا صعوبات، من بينها قلة المراجع والمصادر المهتمة بالفترة العثمانية في الجهة الشرقية من القطر الجزائري، أو ما كان يعرف ببايليك الشرق فيتجلى للباحث أن ما كُتب على الجهة الشرقية أقل بكثير مما كتب على الجهة الغربية، على الرغم من أن هناك أحداث كثيرة ببايليك الشرق لا تقل أهمية عن أحداث بايليك الغرب، وبالتالي فبايليك الشرق لم ينل العناية اللائقة ضمن تاريخ الجزائر بالرغم مما يزخر به من أحداث وشخصيات عظيمة كصالح باي الذي ذكرناه آنفا هذا الحاكم الذي لم يحظ بمؤرخ يشييد بأعماله ويمجد بطولاته.

وأخيرا نتمنى أن يلقى بحثنا هذا رضا الله تعالى أولا ثم رضا الأساتذة، كما نتمنى أن يكون بحثنا هادف فعسى أن يجد القارئ فيه ما يهمه، وتكتمل الفائدة به ويضاف إلى ما تم إنجازه من بحوث في مجال الدراسات الجامعية، والذي يعمل على إنارة السبيل لما تتضمنه مناهج مادة التاريخ. ولله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء سبيل.

- الفصل التمهيدي:التعريف بباليك الشرق

1- الموقع الجغرافي:

يعد باليك الشرق الجزائري قسنطينة من أكبر البايليكات1، يحكمه نائب يحمل لقب باي الشرق، يتربع على حدود شاسعة2، امتدت الحدود الجغرافية لباليك الشرق من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الصحراء جنوبا بما في ئلك مدينة ورقلة، أما غربا فمن وادي الصمار(بجاية) الذي يسمى بوادي بني منصور، ومنطقة بني عباس وبرج حمزة الذي يضيفه العديد من الباحثين إلى حدود المنطقة ذلك أن القائد كان يعين في معظم الأحيان من طرف باي قسنطينة إلى إقليم تونس شرقا حيث وادي سرات الذي يلتقي بواد مرجانة ويأخذ منبعه من بلاد بني مراد الواقعة إلى الشرق من الأوراس3. (**أنظر الملحق رقم1ص57**)

تقع مدينة قسنطينة فلكيا على خط عرض 36.23 شمالا وخط طول 7.35 شرقا، وهي بذلك تحتل منطقة متميزة بالنسبة لشرق دولة الجزائر[4].

2- بداية حكم الأتراك لإقليم قسنطينة:

حكم الأتراك إقليم قسنطينة ابتداء من سنة **1522م** على يد "**خير الدين بربروس**" الذي سيطر عليها، وركز بها حامية عسكرية تتألف من **600** جندي إنكشاري[5]، يرأسها ضباط يحملون لقب " **قائد العسكر**" وكان إسم قائد حامية قسنطينة "**يوسف**"، وأعطى خير الدين الحرية لكل قائد في سلوك السياسة التي يراها تجاه السكان، وحثهم على تحسين علاقاتهم معهم لضمان تموين حماياتهم العسكرية لتلك المدن، ولذلك ربط القائد يوسف صلات حسنة

---

[1]-الباليك: هو الولاية وكانت الجزائر خلال العهد العثماني تنقسم إلى ثلاث باليكات(أقاليم) ويحكم كا منها الباي.أنظر: يوسف بوخاري ، **الدور الديني و السياسي للأسر النافذة في قسنطينة نهاية العهد العثماني وبداية الاحتلال(1826-1837)**، مذكرة ماستر، جامعة الدكتور يحي فارس، المدية، 2015، ص10.

[2]- صالح فركوس، **تاريخ الجزائر من قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال**، ط1، دار العلوم، عنابة، 2005، ص 158.

[3]- بوخاري يوسف، **المرجع السابق**، ص 11.

[4]-محمد الهادي العروق، **مدينة قسنطينة** دراسة في جغرافية العمران، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 14. أنظر كذلك: عمار بوطبة، **المجتمع القسنطيني من خلال جريدة النجاح(1919-1956)**، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010، ص 22.

[5] - انكشاري: هي كلمة تركية الأصل ومعناها العسكر الجديد. أنظر: أم الخير ختو، **صالح باي (1771-1792)**، مذكرة لنيل شهادة أستاذ التعليم الأساسي، المدرسة العليا للأساتذة في الأداب و العلوم الإنسانية، بوزريعة، 2007-2008، ص 2.

مع الشيخ الفقون شيخ البلد، والذي مكنه من الاتصال والتعاون مع القبائل الأخرى، التي تتحكم في مناطق واسعة من قسنطينة.

ومن أجل ضبط السلطة وإقامة إدارة محكمة، قرر "**حسن بن خير الدين**" تقسيم الجزائر إلى ثلاثة أقسام، كلاً منها يحمل اسم البايليك، ومن بين هذه الأقسام "**بايليك قسنطينة**" الذي لم يتم تعيين باي عليه إلا بعد عام 1567، وأول باي حكم قسنطينة "**رمضان تشولاق باي**" الذي بقي في منصبه حتى عام1574[1].

3- الأوضاع العامة بباياليك الشرق

أ- الأوضاع السياسية :

اتسم بايليك قسنطينة في عهد الأتراك بالتنظيم المحكم، و بالإستقرار السياسي، وذلك بسبب جهود البايات في السيطرة على هذا الإقليم ،ويظهر هذا التنظيم جليا من خلال الأجهزة الإدارية ومكوناتها [2].

1/ الجهاز الإداري : يتكون من الموظفون المقربون و الموظفون المساعدون وهم:

- **الموظفون المقربون:**

يشكل ديوان البايليك الجهاز الإداري المحلي الذي يرجع إليه الباي للبث في الأمور الهامة أو لطلب الرأي أو المشورة، وهو يتألف من مجموعة من الموظفين يماثلون موظفي دار السطان التابعين للداي من حيث الصلاحيات و السلطات التي كانوا يتمتعون بها، ومن أبرز هؤلاء الموظفين نذكر:

-**الخليفة:** ينوب عن الباي في الحضور إلى مدينة الجزائر لتقديم العوائد و الضرائب الفصلية مرتين في كل سنة في فصلي الربيع والخريف، كما كانت تسند إليه صلاحية إقرار الهدوء وفرض نفوذ السلطة خارج المراكز البايليك.

[1]- رمضان تشولاق باي: (1567-1574) حكم قسنطينة في ظروف صعبة ومشاكل معقدة غي الإقليم، إلا أنه استطاع السيطرة عليه، عرف بقسوته وشدته في إخماد الثورات داخل البايليك في عام 1574استدعي إلى العاصمة وعوض بجعفر باي. أنظر: **أم الخير ختو، المرجع السابق**، ص 2.

[2]- **نفسه**، ص 3.

_**الباش خزناجي أو الخزندار:** يكلف بمصادر دخل البايليك و النفقات المترتبة عن مختلف أوجه النشاطات الاقتصادية و المالية بالبايليك[1].

_**آغا[2] الدائرة أو خوجة الخيل:** هو قائد الفرسان العرب التابعين لسلطات البايليك وهو بمثابة آغا العرب بدار السلطان، فهو يتصرف في أرياف البايليك.

_**شيخ البلد:** هو المشرف على شؤون البلد والمهتم بأمور السكان، توكل إليه مهمة المحافظة على أملاك الدولة الواقعة داخل أسوار المدينة[3].

- **الباش[4] كاتب:** يتكلف بكتابة رسائل الباي، وبالاحتفاظ بذخائر البايليك المالية وسجلاته العقارية.

- **الباش سيار أو الباش سراج:** المكلف بمراقبة اصطبلات البايليك وتجهيز حصان الباي الخاص[5].

- **باش المكاحلية:** المتصرف بفرقة مكاحلية الباي الخاصة[6].

[1]-ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية**، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2000، ص 242،243.

[2]-آغا:مصطلح فارسي يعني السيد اعتمده الأتراك لدلالات متعددة خاصة في المجال العسكري. أنظر:محمود عامر، **المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية**، جامعة دمشق، (د.ت)، ص 361.

[3]-ناصر الدين سعيدوني، **المرجع السابق**، ص 243،244 .

[4]- الباش:ورد في إشتقاق هذا اللقب عدة اقوال وقيل أن اصلها تركي معناه رأس أو طرف أو زعيم أو قائد وهو القاعدة الأساسية. أنظر: مصطفى بركات، **الألقاب والوظائف العثمانية** دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية (من خلال الآثار و المخطوطات)،دار غريب، القاهرة،1924، ص 80 .

[5]- ناصر الدين سعيدوني، **المرجع السابق**، ص 244.

[6]- فرقة المكاحلية: هي كوكبة الحرس المزود بالبنادق. أنظر: **نفسه**، ص 245.

- **الموظفون المساعدون:**

هم الموظفون الذين لا يتصلون بالباي إلا عند الضرورة أو عند تقديم الخدمة مثل قياد الباياليك وقياد المدن وجماعة الشواش وحاملي اللواء و الموسيقيين.

- **قياد المدن:** يعين أغلبهم من طرف الباي، يتم التعيين في الغالب عن طريق الإلتوام فالقياد يشرون وظائفهم بكمية من المال تقل أو تكثر حسب أهمية المركز.

ويلحق بقياد المدن قياد مرتبطون بالخدمات الخاصة بمراكز الباياليك مثل:

- **قائد المقصورة:** وهو حاجب الباي الذي يعتني بمسكنه الخاص.
- **قائد الجبيرة:** حامل محفظة الباي.
- **قائد السبسي:** حامل غليون الباي.
- **قائد الطاسة:** مكلف بحمل الآنية وتحضير مايتناوله الباي من مشروبات.
- **قائد الدريبة:** هو حارس الباب الرئيسي بالقصر، وعادة مايختار من العبيد السود.

ويضاف إلى هؤلاء القياد كل من الباش فراش المختص بالاعتناء بمكان نوم الباي، باش قهواجي وهو الضابط المكلف بإحضار القهوة للباي[1].

ب – الأوضاع العسكرية:

لقد كان للبايلك قوة عسكرية هامة تتكون من :

- **الميليشيا** : وهم جنود (اليولداش) يجندون من الأتراك، وبعض الكراغلة مهامهم حماية المدينة[2].
- **قوات قبائل المخزن:** وهي القوات المساعدة للميليشيا، وتعد قوات غير نظامية شملت كل القوات المحلية، وقد استعان النظام العثماني بالقبائل المسيطرة، مثل الذواودة، الحنانشة، أولاد مقران، وقبائل الزمول.

[1]- ناصر الدين سعيدوني، **المرجع السابق**، ص 245،246.

[2]– Vayssettes. E : **De constante sous la domination tinque de 1517**,**histoire** Constantine 1867 **a1837**.PP121-256

- **فرقة الزواوة:** هي فرقى متطوعة محلية، تتكون من مجندين من قبيلة زواوة[1]، وقد كانت المحلة أو المعسكرات المتحركة هي الوسيلة لحفظ النظام، وجباية الضرائب[2]، وتقوم بمهمتها مرتين في السنة في فصل الربيع، وفي فصل الخريف[3].

ج– الأوضاع الإقتصادية:

- **مداخيل البايليك:** تمثلت في الالتزامات المالية التي كان يحصل عليها البايليك على شكل عوائد مأخوذة من القبائل القاطنة بأراضي البايليك، كانت تتنوع حسب وضعية القبائل التي تساهم بها، فهذه العوائد لم تكن موحدة فهي بالنسبة إلى رسم الحكور تقدر بـ 10 قطع نقدية لبعض القبائل، بينما بعض القبائل الأخرى كانت تدفع رسوما أقل ومن ذلك قبائل الدواوير الذي كان يأخذ 10ريالات فقط.

أما بالنسبة للعشور وهو رسم موحد على جمع القبائل باعتباره صاعا من القمح وصاعا من الشعير وحمولتين من التين عن كل جابدة، إلا أن بعض القبائل كانت مطالبة عند تسديده بإضافة خروف وحمولة قمح ومقدار غير محدد من الزبدة وبعض الدواجين.

وهناك بعض القبائل كانت غير ملتزمة بدفع هذا النوع من الضرائب و المتمثل في رسمي العشور و الحكور بل كانت تكتفي بتقديم نصيب محدد مسبقا من النقود مثلها في ذلك مثل قبائل الأخرى لم تكن ملزمة إلا بتقديم كميات من القمح والشعير فقط[4].

كل ذلك يجعل عائدات البايليك تتكون مما يلي:

- مساهمة القبائل بالحبوب من القمح و الشعير، تقدم في شكل ضريبتي الحكور و العشور.
- مساهمة تشمل الحبوب من قمح وشعير، ومقدارا من النقود تقدمها القبائل التي كانت تنتفع باستغلال عزل البايليك.

---

[1]– عبد العزيز الفيلالي، **مدينة قسنطينة**، دار الهدى، (د.م.ن)، (د.ت)، ص 177.

[2]–رياض بولحبال، المرجع السابق، ص 28.

[3]–Vayssettes E **Opict** ,p 121

[4]–محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري في نهاية العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1972، ص 60.

- مساهمة أصحاب الملكيات الخاصة في شكل كميات من الحبوب.
- مساهمة من الحبوب فقط خاصة بالدواوير الكائنة بعزل الباياليك.
- مساهمة من النقود يتكفل بها شيخ العرب تكون عوضا عن الضرائب المفروضة على المناطق التي يتصرف فيها باعتباره قائدا عليها.
- التزامات تؤخذ من القبائل النائية وذلك لتجريد فرق من المحلة عليها.
- حقوق تتعلق بتقليد المناصب لبعض الموظفين[1].

د- الأوضاع الاجتماعية:

اختلفت بعض الإحصاءات واتفق البعض الآخر حول عدد سكان مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، ولأن إقليم قسنطينة هو أكبر الأقاليم الثلاثة مساحة فقد جعل هذا القنصل الأمريكي ويليام شيلر يقر أن نصف سكان الجزائر كانوا في إقليم قسنطينة وحده، وقد قدر ذلك بخمسة وعشرون ألف نسمة[2].

أما إذا حاولنا تصنيف السكان حسب أصولهم وأعراقهم، فيمكن إرجاعهم إلى أربعة مجموعات عرقية متمايزة وهي القبائل والعرب والترك واليهود.

- **القبائل:** تختلف مجموعة القبائل عن باقي السكان العرب بالباياليك لا من حيث لغتها فقط وإنما أيضا من حيث عاداتها وأسلوب معيشتها، وهم يعتبرون السكان الأصليون.
- **العرب:** هم بدوا يسكنون الخيام، وتتألف كل ثروتهم من قطعان المواشي، والعرب ينقسمون إلى عرب وشاوية وهذا الصنف الأخير يتميزون عنهم باللغة الخاصة التي يتكلمونها.
- **الترك:** هم العنصر الحاكم للبلاد، وقد كانوا يؤلفون فرق الجيش ويقدمون خدمات مفيدة[3].

[1]- ناصر الدين سعيدوني، **المرجع السابق**، ص ص 165-166.

[2]- يوسف بوخاري ، **المرجع السابق**، ص 38.

[3]- **نفسه**، ص ص 157-159.

- **اليهود:** هم فئات أجنبية عرفوا بالخبث في معاملاتهم والتحايل، وبالرغم من ذلك سمح لهم بالعيش، وبممارسة النشاط التجاري[1]، كما أن صالح باي شيد لهم شارع عرف بحارة اليهود.

وعلى العكس من هذا التقسيم العرقي لسكان بايلك الشرق يوجد تصنيف يمكن القول عنه أنه تقسيم طبقي وهو:

- **الطبقة الأولى:** تتكون من العثمانيين الأتراك الذين كانوا يتربعون على عرش قمة الهرم الاجتماعي بيدهم الحكم والسلطة والوظائف العليا وقيادة الجيش[2].
- **الطبقة الثانية:** هم الموالون وقد ظهر هذا العنصر الجديد باستقرار العثمانيين في المدينة، وهم نتاج أب تركي وام من السكان الأصليين[3]، كما يطلق على هذا الصنف الكراغلة[4]، ولقد استطاع البعض من أفرادها الوصول للحكم مثل أحمد باي آخر بايات الشرق وهو ابن لإحدى بنات أسرة صحراوية وهي أسرة بن قانة[5].
- **الطبقة الثالثة:** تتألف من الحضر وهم بعض سكان قسنطينة من مهاجري الأندلس وأطراف بلاد المغرب، ومن بين هذه الأسر أسرة ابن باديس، ابن جلول، ابن عبد الجليل.
- **الطبقة الرابعة:** تتكون من العمال غير الدائمين الذين يقصدون المدينة قصد العمل عند أهل المدينة[6].

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، **المرجع السابق**، ص328 .

[2]- يوسف بوخاري ، **المرجع السابق**، ص 40،41.

[3]- Renandot .**algerie et ses environs'Tobleau du Royaume de l** .imprimerie Paris. pp42-44

[4]- يوسف بوخاري ، **المرجع السابق**، ص 40.

[5]- بوضرساية بوعزة، **الحاج أحمد باي**، مجلة الثقافة، العدد 112، 1969، ص 145.

[6]- يوسف بوخاري ، **المرجع السابق**، ص40.

أما في الأرياف فقد تميز المجتمع بالطابع القبلي، كبقية المجتمعات الريفية المتواجد بالجزائر آنذاك، كما تميزت حياة البدو بالترحال بين الشمال و الجنوب[1]، وكانت هناك مجموعات قبلية مستقلة متواجدة في الجبال أصبحت ملاذا للناقمين على السلطة[2].

كما تميزت هده الفترة بظهور علاقات المصاهرة بين البايات و الأسر الحاكمة الريفية ، ولقد استفاد النظام العثماني من هذه القبائل و الأسر التي قامت بدور هام إلى جانب العديد من البايات، وتجلى ذلك في الدعم الذي كانت تقدمه ، حيث تحالف الحاج احمد باي مع القبائل عندما سعت فرنسا إلى احتلال قسنطينة ، وعبر عن ذلك البعض ، فقال " أن هذه أصبحت النخبة المفضلة لديه "، كما أن علاقات المصاهرة هذه كان هدفها حسب البعض الآخر هو السيطرة على الباليك.

ومن خلال ما سبق يتبين الاختلاف الواضح في البيئة الاجتماعية لبايلك الشرق الجزائري ، وهذا الاختلاف اثر في استمرار الصراع الاجتماعي، وعلى سير الأحداث السياسية[3]

هـ- الأوضاع العلمية والثقافية:

لقد أدى الاهتمام بالعلم ونشر المعرفة الى الاهتمام بالمدارس و المساجد، وقامت هذه المؤسسات بدور هام في المجالات العلمية والدينية والاجتماعية و السياسية، وتولت عائلات عديدة مهمة بناء المدارس و المساجد و التدريس بها، و الإنفاق على الطلبة، ومن بينها عائلة ابن باديس وابن جلول وابن البشتارزي وغيرها[4]، وقد تمتعت هذه العائلات بمكانة اجتماعية وعلمية[5].

واهم هذه المؤسسات منها المساجد حيث كان بها أكثر من مئة مسجد، واحتوى كل مسجد على مقاعد مخصصة لحفظ القرآن الكريم، وشيخا لنظارة الأوقاف[6].

---

[1]-مصطفى أبو الضيف أحمد عمر، **القبائل العربية في المغرب**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص ص 255-256.

[2]- فاطمة الزهراء قشي ، **قسنطينة في عهد صالح باي**، (د.د.ن)، قسنطينة، 2005، ص 78.

[3]- رياض بولحبال، **المرجع السابق**، ص 36،37..

[4]-أبو القاسم الزياني، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا**، تح: عبد الكريم الفيلالي، مطبعة الفضالة، المغرب، 1967، ص ص 153- 154.

[5]-أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص55.

Vayssettes E **Opict**. p115[6]

وعلى غرار المدن الأخرى ظل الإنتاج العلمي و الثقافي بقسنطينة ضئيلا، فقد كان محصورا في التقارير التي لا تكتمل وفي الشروح والحواشي الفقهية و العقائدية، وغلب عليه التقليد تارة لعلماء المشرق وتارة لعلماء المغرب الأقصى، فأصبح أسلوب التأليف يغلب عليه الأسلوب العامي وركاكة التراكيب[1]، كما اعتمد العلماء على الأسلوب النقلي[2].

يذكر البعض أن الاهتمام تركز على التعليم الديني، دون الاهتمام بمجالات التعليم الأخرى، كما حظي العلماء بمكانة علمية كبيرة، واحترمتهم السلطة إلى جانب العامة[3]، وقد احتلت الطرقية مكانة هامة ولشيخ الطريقة نفوذا واسعا في أوساط المجتمع[4]، وأكثر الطرق انتشارا هي الطريقة الرحمانية التي كانت تظم عشرة آلاف مريد[5]،ولم تكن نزعة التصوف فقط في المدن، بل بل سادت الأرياف و البوادي وانتشرت بين القبائل[6]، وقد ذكرت المصادر و المراجع العديد من علماء تلك الفترة، ومنهم محمد الشاذلي القسنطيني الذي عاش في بداية القرن التاسع عشر ميلادي، ومحمد بن المسبح القسنطيني، والعلوم التي برز فيها هؤلاء هي البلاغة والنحو والفقه وغير ذلك من المجالات العلمية[7].

---

[1]–محمد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تح: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشرو التوزيع، الجزائر، ص 62.

[2]–أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**،دار الكتاب، الجزائر، 1963، ص55.

[3]–محمد بن ميمون الجزائري،**المصدر السابق** ، ص29–30.

[4]– حميدة عميراوي ، **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس** في أواخر العهد العثماني و بداية الإحتلال الفرنسي، دار الهدى للطبع، الجزائر، 2005، ص 29.

[5]–عبد الرحمن الجيلالي،**تاريخ الجزائر العام**، ج3، دار الثقافة، بيروت، 1980، ص 259.

[6]– مصطفى أبو الضيف عمر، **المرجع السابق**، ص 268.

[7]–أبوالقاسم الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، تق: محمد رؤوف القاسمي، ج1، موقم للنشر، القاهرة،– 1991، ص 277. أنظر: ابو القاسم سعد الله، **محمد الشاذلي القسنطيني1807–1877**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1974،ص ص 14–18. أنظر: عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، 1980، ص 229.

- الفصل الأول: صالح باي وتوليه الحكم

تمهيد:

إن المكانة التي احتلها صالح باي في تاريخ قسنطينة والسمعة التي اكتسبها بين حكام الجزائر في العهد العثماني، والشعبية التي تمتع بها في الأوساط القسنطينية خاصة والشرق الجزائري عامة، تدفع الباحث إلى الاهتمام بأحداث حياته ودراسة جوانب شخصية وإلقاء الضوء على أعماله في شتى المجالات وذلك حتى يتبوأ مكانته اللائقة بجانب الشخصيات الجزائرية التي خر بها ماضي الجزائر المجيد وازدان بها العهد العثماني منه خاصة[1].

1-مولده ونشأته:

ولد صالح باي بمدينة أزمير[2] بتركيا سنة 1137هـ /1725م من أب تركي يدعى مصطفى، ينتمي إلى أسرة متوسطة الحال، وعندما ناهز سن السادسة عشر اضطرته الظروف أن يهجر موطنه الأول ويلتحق بأوجاق[3] الجزائر حتى ينجوا من التعرض للإنتقام الذي كان يتهدده إثر تسببه في قتل أحد أقرابه دون تعمد، وقد عمل صالح باي في أول عهده بالجزائر بمقهى الأوجاق يساعد صاحب هذا المقهى، ولعله إضطر إلى مثل هذا العمل نظرا لصغر سنه وعدم خبرته بالحياة ولجهله بأوضاع البلاد، وعلى كل فإن عملا كهذا رغم تواضعه سمح له بأن يتعرف علة واقع الجزائر، ويتطلع على طبيعة الحكم وأسلوب الإدارة السائدة أنذاك، فضلا عن هذا العمل كان مناسبة تعرف أثناءها صالح باي على بعض رجالات الأوجاق الذين لم يبخلوا بمساندته فيما بعد للحصول على إذن من مجلس الديوان يسمح له بالانخراط في فرقة الأوجاق والالتحاق بعد ذلك بمحلة(حامية)

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، **المرجع السابق**، ص 287،288.

[2]- أزمير:هي مدينة تقع غربا في شبه جزيرة أسيا الصغرى بالأناضول، وقد فتح المدينة مراد الثاني سنة 1424.أنظر: س-موستراس، **المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية**، تر: عصام شحادات، دار بن حزم، (د.م.ن)، (د.ت)، ص 52-53.

[3]-الأوجاق: معنى الكلمة الأصلي في اللغة التركية هو الموقد، ثم توسع في معناها في التركية فصارت تطلق على كل ما تنفخ فيه نار، فأطلقت على البيت من وبر، ثم على أهله ثم على الجماعة تتلقى من مكان واحد، ثم أطلقت على صنف من أصناف الجند، وتطلق على الفرقة العسكرية. أنظر: عبد الرحمن الجيلالي، **المرجع السابق**، ص 328. وكذلك: أحمد الشريف الزهار، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف**، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1980، ص 183.

الشرق السنوية المتوجهة إلى قسنطينة قصد المساهمة في تعزيز الحامية التركية بها[1]، والمشاركة في جمع الضرائب من الأرياف[2]، ومن الراجح أن هذه الحملة كان يقودها الباي "أزرق عينو"[3]

وفي مدينة قسنطينة بدأ صالح باي مرحلة جديدة وخطيرة في حياته، أظهر من خلالها مهاراته الحربية، وكفاءته التنظيمية ومقدرته الإدارية، مما جعل أحد قواد جيش البايليك وهو أحمد القلي يشيد به[4]، وقدر فيه تلك الخصال العسكرية، التي شهد له بها الجميع أثناء الحملة التي شنها أزرق عينوا على تونس سنة 1169هـ/1757م، وهذا ما جعل أحمد القلي عند توليه منصب الباي بقسنطينة 1170هـ/1756م يبادر إلى تعزيز أواصر الصداقة مع صالح باي حتى أنه زوجه إبنته وولاه قيادة الحراكتة بالأوراس عام 1762م لمدة ثلاث سنوات، وهذه القيادة كانت تستند عادة إلى أهم شخصية بلبايلك بعد الباي، وذلك لشدة صعوبة هذه القبيلة، ولوفرة المداخيل التي كانت توفرها لخزينة الدولة[5].

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، **المرجع السابق**، ص 287،288.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، **المرجع السابق**، ص 288.

[3]-أزرق عينو: اسمه حسن(1754-1756)، اشترك في غزو تونس، ولعب دور بارز فيها ،كما اهتم بمدينة قسنطينة وجدد أجهزتها. أنظر: أم الخير ختو ، **المرجع السابق**، 11.

[4]-أحمدالقلي: كان بايا على قسنطينة(1756-1771م)، وسمي القلي لأنه كان آغا على مدينة القل. أنظر: **نفسه**، ص11.

[5]-ناصر الدين سعيدوني، **المرجع السابق**، ص 288.

2-عائلته

تذكر مصادر بأنه تزوج من إمرأة ثانية من أعيان قسنطينة، وهي إبنة رفيقه القديم أحمد الزواوي بن جلول، ويذكر مرسي بأن صالح باي تزوج أيضا للمرة الثالثة.

أما زوجته الأولى فأنجب منها بنتا واحدة، والزوجة الثانية أنجب منها باقي أولاده وهما حمودة، والحسين، أما البنات فهن السيدة أم هاني، والسيدة آمنة، والسيدة عائشة، والسيدة فاطمة، والسيدة خدوجة[1].

وتشير المعطيات إلى أن صالح باي، جمع بين الزوجتين في فترة حكمه على البايلك، وأن أولاده كانوا صغارا، إذ أنه رزق بهم في فترة متقاربة من الزوجتين في آن واحد وقد ذكر أولاده في عقود الأوقاف بين (1779 م - 1788م).

أما إبنه حمودة (محمد) فقد منحه مصطفى إنجلز منصب خليفة الباي، لكنه لم يعمر فيه طويلا إذ أنه سرعان ما وجد مسموما[2].

أما ابنه الحسين فقد ارتبط اسمه بتاريخ قسنطينة، إذ أنه أصبح بايا عليها سنة 1806م وانتهى حكمه سنة 1807م[3].

وأثناء ولايته خرجت الفيرة من تونس، فلما وصلت قريبا من قسنطينة خرج إليها بجيش قليل فتقابلوا، ووقعت الهزيمة على باي قسنطينة. وهرب إلى ناحية الجميلة، وحينئذ تقدمت عمارة تونس ونزلت مقابلة للبلاد، وبقيت ثلاثين يوما وهي مقيمة بالحروب والقتال مع مدينة قسنطينة، وظل الحصار على قسنطينة لفترة، ولما وصل الخبر إلى الباشا، أنشأ عمارتين من فرسان وعسكر، فبعثت عمارة العسكر في البحر، وعمارة الفرسان في البر، فما كانت إلاّ أيام حتى وصلوا وقابلوا عمارة تونس بطرف قسنطينة، وصار بينهم قتال

---

[1]- أم الخير ختو ، **المرجع السابق**، ص 13.

[2]- مصطفى إنجلز: تولى الخلافة (1798-1803)، لقب بانجليز لوقوعه في أسر إحدى السفن البريطانية حينما كان شابا،كما يقال أنه دمه باردكدم الانجليز لذلك لقب بالانجلز، تميز عهده بالرخاء و العافية، وكانت نهايته عزله إلى العاصمة بأمر من الباشا بعد حكم دام أربعة سنوات.أنظر: **نفسه**، ص 153. وكذلك: رياض بولحبال، **المرجع السابق**، ص 62.

[3]-الحسين بن صالح باي: حكم مدة سبعة أشهر فقط من ديسمبر 1806م إلى 1807م،يحكى عليه أنه يخفي نفسه حين يتكلم الرعد في السماء، ويقول الحاج أحمد المبارك أنه كان ولدا صغير في السن لايقدر على الركوب والغزو أنظر: **نفسه**، ص 73،72.وكذلك: حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تر: محمد العربي الزبيري، مشورات ANEP،(د.م.ن)،(د.ت)، ص 128.

عظيم، حقق من خلاله القسطنطيون الفوز على عمارة تونس، واستولوا على المؤن والذخيرة، والتحق600 جندي تونسي بالجيش الجزائري، بعد هذا الانتصار جاءت الأوامر من الجزائر بالزحف على تونس، فقاد الباي "حسين ولد صالح باي" و"الباشا آغا" 18 ألف رجل إلى تونس في جويلية 1807[1]، واصطدموا بالجيش التونسي في وادي صراط قرب مدينة الكاف التونسية، وجرت المعارك طيلة ثلاثة أيام هزم فيها الجزائريون وتشتتوا ولم ينجوا منهم إلاّ عدد قليل من الأتراك، وقيل أن سبب هذا الانكسار هو تعاون بعض الجزائريين مع التونسيين وتزويدهم بالأخبار النافعة لهم في الحرب، ومن هؤلاء قائد فرجيوة "مصطفى بن عاشور" الذي أخذ الرشوة عن ذلك، ولما انهزم الجزائريون وحلت بهم الفضيحة، كان باشا آغا صاحب حيلة حيث مكر بحسين باي، وقال بأن باي قسنطينة هو الذي هرب بجيوشه حتى صارت تلك الهزيمة، ولولا هروبه لكان النصر[2]، واستشهد في قوله ببعض أصدقائه، ووافقوا على مكره وافترائه، فلما وصل إلى الباشا ذلك الجواب، ، استفاض و أمر بقتل الحسين باي بن صالح باي، فقُتل مخنوقا رحمة الله عليه وكان موته عام 1807م[3].

3- توليه الحكم:

قد بقي صالح باي في وضيف قيادة الحراكتة ثلاث سنوات (قائد العواسي)، واكتسب أثناءها حنكة ودراية في تسيير الأمور الإدارية، ومعالجة المهام العسكرية، بعدها تولى منصب خليفة الباي بقسنطينة الذي ظل يشغله مدة 6 سنوات (1765م - 1771م)[4] كان فيها نعم السند لصهره الباي أحمد القلي، وقد ناب عنه في تقديم العوائد الفصلية(الدنوش الصغرى) إلى الداي محمد عثمان باشا[5]، وأثناء ذلك اكتسب صالح باي ثقة وتقدير الداي، وهذا ما ساعده على الإرتقاء إلى منصب الباي، إثر موت صهره أحمد

---

[1]- أم الخير ختو ، **المرجع السابق**، ص 13،14.

[2]-**نفسه**، ص 14.

[3]-Vayssettes E. **opci**t. pp 21-30.

[4]- ناصر الدين سعيدوني، **المرجع السابق**، ص 288.وكذلك: محمد صالح العنتري، **الفريدة المنسية في دخول الترك مدينة قسنطينة**، تح: يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص 87.

[5]-محمد عثمان باشا: كان دايا على الجزائر، حكم من (1766م-1791م).أنظر: أم الخير ختو ، **المرجع السابق**، ص 12.

القلـي في صـيف (1771م- 1185هـ)، وهنـا تبـدأ صـفحة جديـدة في حيـاة صـالح بـاي مليئة بالمآثر والأعمال العظيمة[1].

[1]- جميلة معاشي، **الأسر الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 1988، ص 121.وكذلك : ناصر الدين سعيدوني، **المرجع السابق**، 289.

- الفصل الثاني: جهوده الاقتصادية والعسكرية

1-جهوده الاقتصادية

- الزراعة:

يقول مرسي " **عمل صالح باي بعد توليته على إستتاب الأمن، وإقامة علاقات تجارية وشجع الصناعات و الحرف كالدباغة والحياكة، وعمل على بناء طواحن في مختلف أرجاء المقاطعة وقام بعدة تجارب في ميدان الفلاحة**[1].

كما أقام حديقة جميلة على بعد بضعة كلمترات غربي المدينة أمام الباب الرئيسي، والتي اتخذ منها مسكنه الريفي، كما شجع على غراسة الزيتون وفلاحة الأرز، وباقي أشجار الفواكه، واستحدث شبكة من قنوات الري لإيصال المياه إلى المزروعات المسقية خاصة بالحامة وسيبوس بنواحي عنابة، ونقل جنود الزمالة إلى سهل عين مليلة على طريق باتنة وأسكنهم هناك، وملكهم أراضي خصبة في عين كرشة وبرج الفسقيا وأمرهم بإستصلاحها، وزراعتها، وممارسة تربية الخيول لصالح إدارة البايلك، وهذا من ضمن الأغراض التي دفعته إلى إتمام بناء برج الفسقية الذي شرع أحمد القلي قبله في تشييده، ومن ضمن مهام جنود الزمالة في سهل عين مليلة، مراقبة أعمال الحرث والحصاد وجمع المحصول، واستغلال الشعير لعلف الحيوانات والقمح للمتاجرة به في الأسواق، وتزويد جنود الزمالة بحاجاتهم الغذائية، فأصبح بذلك الشرق الجزائري المنطقة الأولى في الإنتاج الفلاحي، حتى أن صالح العنتري وصف الأوضاع بهذه العبارة "**وملك الأملاك في كل البلاد وعم الخير كل العباد**"[2].

ومن مآثره أيضا تفجير المياه بالصحراء، وربط الينابيع ببعضها في شبكة من القنوات المجموعة بكيفية هندسية محكمة العمل، لسقي البساتين والحقول من النخيل أو غيره من المغروسات والمزروعات، وذلك التوزيع غاية في الإحكام والدقة، واعتمدته المحاكم الشرقية في تحديد الحقوق وبيان المقادير المائية لسقي كل مساحة، ولعل أهم مشروع متعلق بالري قام

[1]- Mercier.E: **Histoire de Conctantine** ،edition Braham Constantine 1903.p55.

[2]- أم الخير ختو، **المرجع السابق**، ص 17.

به صالح باي هو حله لمشكل الري بالجنوب الجزائري عامة وبشمال بسكرة خاصة في المكان المسمى"رأس الماء"[1].

فلقد قام بإيواء سرية مراقبة، مكلفة للقيام بدوريات على طول مجرى الماء، وفرض الطريقة المحكمة لتوزيع مياه الري حسب أهمية عدد السكان والزراعة المعترف بها لكل ضاحية من الضواحي الخمس التي تتجاوز وتتشابك وسط واحة بسكرة.

كما أضاف صالح باي مكسبا آخر لواحة بسكرة عندما قرر جعل بستان للنخيل في المنطقة المسماة "بني مرة" باسم العرب الرحل المخيمين به القادمين من جبال العمور، الذين طردوا إلى الزاب الغربي، ويقول البساكرة القدامى أن ناس بني مرة المسلوبون كانوا ضحية هجوم جائر من طرف البايلك، كما تدل العبارة العامية "صكهم عود البايلك" بمعنى رفسهم حصان الباي[2].

غرست بأرض بني مرة أجود أنواع النخيل والتي أهديت من طرف المزارعين "جودي"، و "بن عبدي" لأنها أصبحت ملكا خاص بباياليك قسنطينة.

ولقد قرر الحاكم صالح باي أن تمنح هذه الحديقة الجديدة حصة من مياه الري تعادل لكزة واحدة، أي ساقية عرضها عشرة سنتمترات سميت "المرية" وتم هذا الاقتطاع البايلكي لفائدة بستان بني مرة على حساب مجموعة الضواحي الثلاثة المحاذية، التي انخفضت حصتها المائية إلى أحد عشر لكزة، أي بعرض مائة وعشرة سنتمتر، وبعدما عبر الزيبانيون عن رضاهم بالزيارة التفقدية، عاد صالح باي إلى قسنطينة مرفقا بحرسه العسكري بعد أن نصب بقايدية بسكرة الكرغلي أميرالي شريف(1870- 1915) خلفا للقائد سكمباجي الذي أقيل من مهامه[3].

وهذا يمكن أن نقول بأن القطاع الزراعي كان مزدهر في عهد صالح باي، وذلك بسبب جهوده الكبيرة للنهوض بهذا القطاع في كل مقاطعات البايلك، حتى أنه كان يصدر الحبوب لبعض الدول الأوربية بسبب الفائض والإنتاج الوفير، حيث كان لميناء عنابة دور كبير في تصدير المواد الزراعية مثل القمح حيث يقول نقيب الأشراف «...وكانو النصارى يوسقون

---

[1]-محمد الهادي العروق، **المرجع السابق**، ص68.

[2]-عبد الحميد زردوم، **تاريخ بسكرة في عهد الأتراك(1660-1844)**،(د.د.ن)،(د.م.ن)،(د.ت)، ص ص40-41.

[3]- نفسه، ص 44،45.

القمح والشعير»، وهذا دليل على ازدهار القطاع الزراعي ببايلك الشرق في عهد صالح باي[1].

- **الصناعة:**

يعتبر صالح باي من البايات الذين اهتموا بالصناعة حيث شجع أصحابها على اختلاف مهنهم وحرفهم وأصبحت قسنطينة في عهده تعج بالورش المختلفة والأسواق الصناعية المزدهرة، كما عمل صالح باي كل ما في وسعه لتكون مردودا كبيرا لصالح الخزينة و لأخذ فكرة عن مدى انتعاش الصناعة على عهد صالح باي نورد الأرقام التالية:(28 سوق وسويقة،7 تربيعات يتجمع بها صناع النسيج، 3رحبات لعرض السلع،5 أفران للخبز، 27 مطحنة رحى لطحن الحبوب ومنها خمسة داخل المدينة تعالج يوميا 484 كيسا من الدقيق)[2].

ومن ضمن المصنوعات المزدهرة بقسنطينة في هذه الفترة الجلود والنحاس، والحدادة، والحلي، والنسيج، والخشب وأدوات الطين والخياطة، والأدوات الحديدية، والطينية، والخشبية وغيرها هذا بالإضافة إلى الدباغة والحيَّاكة.

وبالتالي فصالح باي كان له دور كبير في إزدهار الصناعة في بايلك الشرق وأصبحت قسنطينة المدينة الثانية من حيث النشاط الصناعي في الأيالة الجزائرية[3].

[1]- أم الخير ختو ، **المرجع السابق**، ص20.

[2]-أم الخير ختو، **المرجع السابق** ، ص 21.

[3]-ناصر الدين سعيدوني،**المرجع السابق**، ص296.

- **التجارة:**

لقد عرف النشاط التجاري ازدهارا كبيراً، على عهد صالح باي حيث جعل من قسنطينة المدينة الثانية من حيث النشاط التجاري في الأيالة الجزائرية[1]، وأصبحت قسنطينة ملتقى للقوافل التجارية، التي تجوب أنحاء الشرق الجزائري، وتربط قسنطينة بكل من الجزائر وتونس و قدامس، وقد ذكر أحد الكتاب المعاصرين لصالح باي أن القافلة المتوجهة إلى تونس في كل شهر كانت تتألف من "150 إلى 200 جمل" كلها محملة بالمحاصيل الزراعية والسلع المصنوعة بقسنطينة، وأثناء ذلك عرفت الموانىء البحرية التي كان يتم تصدير الإنتاج عن طريقها مثل عنابة والقالة وسطورة توسعا ملحوظا. في حجم المبادلات التجارية، وهذا ما دفع بصالح باي إلى توظيف وكيل في كل منها مكلف باستلام حقوق الديوانة المفروضة على الصادرات والواردات، والتي تعود إلى خزينة البايلك مباشرة، ولهذا الغرض أسس مرسى سكيكدة بجوار سطورة القديمة، وخصصه لتصدير القمح للخارج، وقد ذكر ذلك "صالح العنتري" بهذه العبارة:« **وهو الذي أسس مرسى سكيكدة، وشهرها، وصاروا كل الأجناس يأخذون الوسق منها، وقد أنجزت له من تلك المرسى فوائد عديدة وذخائر مثمنة مفيدة**»[2]، ولعل أهم الموانىء على عهد صالح باي ميناء عنابة، الذي كان يزود خزينة البايلك بمداخيل محترمة جعلت نقيب الأشراف يخص مداخيل عنابة بهذه الكلمات: « **و كانوا النصارى يوسقون القمح والشعير من عنابة سنين عديدة، حتى صار الباي لايقبل الدور من النصارى، ولا الضلبون المعهود بيننا، عندما تعمرت خزائنه أمرهم بأن يجعلوا الضلبون فيه مائة ضلبون، فامتثلوا لأمره، وصنعوا له مثلما أمرهم**»[3].

كما شجع صالح باي التجارة الداخلية والخارجية، حيث كانت بعض القوافل التجارية المحملة بالبضائع تتجه نحو الجهات الإفريقية، والمشرق العربي، كما قام باستصلاح بعض الموانىء كعنابة والقل، والقالة، التي تأتي إليها السفن والمراكب التجارية الأوربية كإيطاليا، وفرنسا وغيرها للغرض التجاري، فتبيع بضائعها الأجنبية وتشتري بضائع البايلك، وقد

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، **المرجع السابق**، ص 296.

[2]- أم الخير ختو ، **المرجع السابق**، ص 22.

[3]-ناصر الدين سعيدوني ، **المرجع السابق**، ص 296.

وضع صالح باي كما ذكر سابقا وكلاء لمراقبة التجارة الخارجية و استخلاص الضرائب على الصادرات والواردات.

وبالتالي فالتجارة على عهد صالح باي كانت مزدهرة سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي، وهذا ما جعل من مدينة قسنطينة ملتقى للقوافل التجارية[1]

- **نظام الضرائب** :

أما في المجال الضريبي، فقد امتاز بالدقة والملائمة لأوضاع البايلك، حيث ظل العمل به بعد حكم صالح باي، فقد أخضعت جميع الأراضي الزراعية لضريبة الجبري[2]، وما يعادلها من الشعير، وعشرة شبكات من التبن كعلف للحيوانات.

وبمقتضى هذا قسم البايلك إلى قطاع "شرقي وغربي"، يفصل بينهما وادي الحمام، وكل قطاع يشرف عليه قائد الجبري والذي يخضع بدوره لقائد الدار، ويتقاضى مقابل قيامه بهذا العمل ضريبة الزمام[3]، ويقوم بخرجتين في العام، إحداهما في الخريف لمراقبة أعمال الحرث، وأخرى في الصيف أي بعد الحصاد، ويقوم بمساعدته شيوخ الدواوير، وقياد النواحي، وفرسان المخزن، ومن إيجابيات هذا النظام هو أنه لا يتطلب عدد كبير من الموظفين، ويعطي أيضا فكرة واقعية عن مردود الضرائب مسبقا، كما أنه يشجع الفلاح على الإنتاج[4].

---

[1]-عبد الحكيم سمعون، **النظام العثماني في المغرب الغربي**، ج2، دار المعالي، مصر، 1990، ص 25.

[2]-ضريبة الجبري: تقدر بـ 5أو 10 صاع من القمح ومثلها من الشعير و التين. أنظر:ختو أم الخير، المرجع السابق، ص24.

[3]-**نفسه**، ص 25.

[4]-ناصر الدين سعيدوني، **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، (د،م،ن)، 1979، ص 35.

2- جهوده العسكرية:

إن الأعمال التي اشتهر بها صالح باي مع تعددها وتنوع أغراضها تتمثل في الحملات الفصلية لاستخلاص الضرائب ومعاقبة العصاة ووضع حد للفوضى، وفي هجمات عسكرية استهدفت الأقاليم البعيدة عن قسنطينة قصد توسيع نفوذ البايليك ومد سلطة الدولة على المناطق النائية كالجهات الصحراوية و الأقاليم الجبلية، هذا إذا لم تكن أعمالا حربية تهدف إلى رد الهجوم الخارجي أو تأمين الحدود الشرقية لبايليك قسنطينة ولقد صنفت أعماله الحربية إلى صنفين[1]:

- **حملاته الداخلية:**

نذكر حملته على قبيلة الزمول جنوب قسنطينة، وتتبعه لعشيرة السقنية انطلاقا من مركز"قنان" تاشودا، وقد تمكن صالح باي أثناء ذلك من فرض المغارم الكثيرة وقتل العديد من الممتنعين من رجال قبيلة السقنية، وفي هذا المجال نشير إلى محاولاته المتكررة لمهاجمة أولاد عاشور بفرجيوة (1776-1781) حتى يحد من تطلعات شيخهم محمد الشلهوم، ويضاف إلى هذا النشاط الحربي تجريده لحملة عسكرية للحد من نشاط الشيخ الولي سيدي أحمد الزواوي الذي التجأ مع أتباعه إلى جبل وزغار وحاول إثارة العامة ضد سلطة البايليك[2].

كما قام صالح باي بهجومات بعيدة المدى مثل حملته على أولاد عمور الذين أعلنوا العصيان وجاهروا بالعداء ضد سلطة الدايات بالجزائر منذ سنة 1785، وقد انتهى صالح باي في حملته هذه إلى زنينة أفلو وتاجموت و الأغواط واضطرت إلى إعلان الخضوع له، بالإضافة إلى مهاجمته لدشرة النميلة التي أوقع بها عقابا صارما عندما قتل مائة رجل منها، وقد بعث برؤوسهم لتعلق بقسنطينة ولتكون عبرة لمن تسول له نفسه العصيان[3].

كما يندرج ضمن هذه الأعمال الحربية غارته على أولاد نائل التي حصل فيها على مغانم ضخمة بعد انتصاره على جموع المتمردين في معركة مالح أو مسيف، و قبل أن يعود صالح

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، **المرجع السابق**، ص 289.

[2]- أم الخير ختو ، **المرجع السابق**، ص27.

[3]- **نفسه**، ص 27.

باي من غارته هذه إلى قسنطينة ليدخلها دخول المنتصرين في شهر أكتوبر 1773، كان قد بعث إلى الجزائر بالكثير من الغنائم مع ستين رأسا وأربعمائة زوج أذن للعصاة الذي قضى عليها، وذلك ليظهر للداي مدى انتصاره على القبائل المتمردة بنواحي الجلفة و بوسعادة التابعة لبايليك التيطري[1].

ويدخل في نطاق هذا النشاط الحربي أيضا حملته على مناطق الزيبان ومحاولته استدراج شيخ الدواوة[2] محمد الدباخ للدخول تحت طاعته وقد اضطر الشيخ بالفعل تخوفه من بطش الباي وشروطه الثقيلة إلى التسليم بمطالب صالح باي هذا وقد توج هدا الأخير نشاطه بنواحي الزيبان بمهاجمة توقرت وإخضاع أمرائها من بني جلاب سنة1788هـ[3].

وتعود أسباب حملة صالح باي على توقرت إلى تحريض الشيخ أحمد الناقم على ابن عمه الشيخ عمر حاكم توقرت وعدم رضى صالح باي على مقدار الغرامة المترتبة على الشيخ فرحات الذي خلف أباه في حكم منطقة وادي الريغ، وقد ساعد صالح باي في حملته هذه ركون حاكم تونس إلى المهادنة في مطلع سنة1788[4].

كل هذه الأسباب دفعت صالح باي للاستعداد للحملة والتقدم إلى منطقة الزيبان حيث كان خليفته بلشانة يسهر على جمع ضرائب طولقة وبوشقرون و الزعاطشة وبعض الواحات الأخرى، وعندما بلغت الحملة وادي جدي تولى صالح باي قيادتها بنفسه، ورغم رداءة الأحوال الجوية وحدوث عواصف ثلجية(1204هـ-1788م)، فإن صالح باي تمكن بعد ثمانية عشر يوما من قطع جبال الأوراس و الوصول إلى نواحي سيدي خليل ونصب خيامه أمام توقرت[5]، ولقد فرض صالح باي حصارا شديدا على المدينة استمر عدة أسابيع وواصل ضرب أسوارها وتحصيناتها بالمدافع التي اسصحبها معه لهذا الغرض وزاد من تضييقه على المدينة بأن أمر جنوده بقطع أشجار

---

[1]-ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، **المرجع السابق**، ص 290.

[2]-الدواوة: كلمة معناها أشراف وتدل على الفرسان الذين ينتمون إلى عائلة الأمير و الشيخ. أنظر: أم الخير ختو ، **المرجع السابق**، ص 28.

[3]- أم الخير ختو ، **المرجع السابق**، ص 28.

[4]-ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، **المرجع السابق**، ص 290.

[5]- أم الخير ختو ، **المرجع السابق**، ص 29.

النخيل المحيطة بها، وعندما أحدثت المدافع ثغرات على أسوار المدينة لم يجد حاكمها بدا من طلب الصلح والقبول بشروط صالح باي الثقيلة التي فرضت عليه بثلاثمائة ألف ريال ونيل رسم التولية على إقليم واد ريغ(**أنظر الملحق رقم2 ص58**)

– حملاته الخارجية:

تمثلت حملاته الخارجية في مساهمته في إحباط الهجوم الاسباني البحري بقيادة الكونت أوريي الذي تعرضت له الجزائر على عهد محمد عثمان باشا طيلة الفترة الممتدة من 30جوان إلى 16جويلية من عام 1775م، فإننا نذكر أن صالح باي كان قد تحقق من قدوم الحملة الاسبانية عندما كان في طريق عودته إلى الجزائر إلى تقديمه الدنوش السنوية لداي الجزائر فامتثل لأوامر الداي، فجمع قواته على عجل وعاد مسرعا ليتخذ مواقعه بالجهات الشرقية للجزائر العاصمة فيما بين واد الحميز وواد الحراش، وقد بادر بالهجوم على طلائع الحملة الاسبانية، وأبدى في ذلك شجاعة نادرة وبسالة قل نظيرها[1]، وقد تعرض لها نقيب الأشراف في تقاييده بهذه العبارة" جاء صالح باي قسنطينة من ناحية الواد وقدم أمام الاسبانيول بالألوف من الإبل فلما قربت من التحصينات ثم لحقه الناس من كل النواحي، فحملوا حملة رجل واحد وأعلنوا كلمة التوحيد فوجدوا أغلب النصارى ملقين على الأرض بدون رؤوس...ولحقوا الهاربين منهم إلى البحر...فقتلو من لحقوه"[2]، ولقد كان الجيش يتجاوز عشرة آلاف وإن كانت بعض المصادر تقدره بـ 20000من مجموع 100 ألف جندي شاركوا في الهجوم[3].

أما بشأن مساعي صالح باي الرامية لتأمين حدود بايليك الشرقية فتتمثل في موقفه الحازم من باي تونس حمودة باشا سنتي 1783و1787[4]، هذا الموقف الذي جعل الشيخ المبارك يصف صالح باي"بأن له اليد العليا على صاحب تونس"، ويستخلص هذا الموقف الذي وقفة صالح باي من باي تونس والذي هو خير شاهد على حنكته السياسية وحسن تصرفه

---

[1]–ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، **المرجع السابق**، ص ص 290-291.

[2] –أحمد الشريف الزهار، **المصدر السابق**، ص 120.

[3]– ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، **المرجع السابق**، ص 291.

[4]–رشاد الإمام، **سياسة حمودة باشا في تونس1782–1814**،منشورات الجامعة التونسية، (د.م.ن)، 1980، ص 300.

في مثل هذه القضايا في أن صالح باي أصر على تقديم تعويضات ملائمة عن الخسائر التي كان قد أحدثها جند حسن الكبير قائد علي باي تونس عند ملاحقته لقبائل تونسية.

وتحت تهديد صالح باي باستعمال القوة إضطر حمودة باشا الذي خلف أباه علي باي في حكم تونس إلى الرضوخ لمطالب صالح باي وتقديم تعويضات ملائمة له بعد أن لم يرى فائدة في الاستعداد للحرب والتصدي لصالح باي بالحدود التونسية، لاسيما وأن وضع تونس كان حرجا آنذاك لتورطها في خلاف حاد مع البنادقة، وبذلك حصل صالح باي سنة1784 م على تعويض يقدر بخمسة وعشرين ألف سكة لفائدة القبيلة التونسية المقيمة داخل البايليك[1].

[1]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، **المرجع السابق**، ص ص 291-292.

-الفصل الثالث: جهوده الثقافية

1-المساجد والمدارس:

- **المساجد :**

كانت المساجد أماكن لأداة الصلاة وتحفيظ القرآن والتعليم ومعالجة مشاكل الناس[1]، إضافة إلى التحريض على الجهاد ضد العدو[2]، كما أن نتائج المعارك كانت تقرأ على منابرها، وبما أن المساجد كانت بمثابة الرابطة بين الأهالي في الأرياف أو المدينة كثرت العناية بها فلا نكاد نجد قرية أو حياة في المدينة دون مسجد[3].

لقد اهتم صالح باي بالحركة الفكرية والثقافية حيث ازدهرت في عهده ويرجع هذا إلى تشجيعه لرجال الفكر وإنشاء المؤسسات التعليمية[4]، فلقد زار الورتلاني الذي قسنطينة في القرن 18 م[5]، كان فيها نحو 5 جوامع خطبة وان بعضها كان متقن البناء، وبالإضافة إلى هذا، اهتم صالح باي أيضا بالكتاتيب القرآنية والزوايا، والتي بلغت في عهده 13 زاوية، وهذا يدل على اهتمامه الكبير بالشؤون الدينية، ومن بين أشهر المساجد التي بناها صالح باي نذكر منها جامع سوق الغزل و جامع سيدي الكتاني الذي شيده سنة 1775م، بني هذا الجامع بالرخام و الزليج، حيث نجد فوق مدخل الجدار الجنوبي لهذا المسجد لوحة رخامية مربعة الشكل بيضاء اللون[6].

إضافة إلى هذا الجامع أيضا، أسس صالح باي جوامع أخرى خارج مدينة قسنطينة، منها ما شيده في عنابة التي كان فيها 37 مسجد، أشهرها جامع سيدي أبي مروان[7]، وفي سنة 1206م أشاد فيها صالح باي جامعا أصبح يعرف بالجامع الجديد (مسجد بونة).

---

[1]-يحي بوعزيز، **أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19-20م**، مجلة الثقافة، عدد63، 1981، ص15.

[2]- بسام العسلي، **الجزائر والحملات الصليبية(1571-1791)**، ط2، دار النفائس، بيروت، (د.ت)، ص 187.

[3] -رشيدة شدري معمر، **العلماء و السلطة العثمانية في الجزائر قترة الدايات(1671-1830)**، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، الجزائر، 2005-2006، ص 52.

[4]- مختار حساني ، **تاريخ بايات قسنطينة**، منشورات حلب، الجزائر، 1999، ص 5.

[5]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، **المرجع السابق**، ص 250.

[6]-عبد الحق معزوز، **كتابات الشرق الجزائري**، المتحف الوطني للآثار القديمة، مطبعة السومر، 2000، ص 180.كذلك:أم الخير ختو **المرجع السابق**، ص ص42-.43.

[7]-محمد الهادي العروق، **المرجع السابق**، ص 80.

وكان هذا المسجد يمثل المذهب الحنفي وهو مذهب الداي الرسمي، وتم تشييده سنة 1793م، بقلب المدينة، وأسلوب بناء هذا المسجد هو الأسلوب التركي الشرقي.

هذا بالإضافة إلى جوامع أخرى وزوايا بناها صالح باي لعبت دور كبير في ازدهار الحياة الفكرية والثقافية ببونة[1].

- **المدارس:**

لقد كثرت المدارس في قسنطينة في العهد العثماني وخاصة في عهد صالح باي، الذي نهض بالتعليم واعتنى بالمؤسسات العلمية، وقد ثبت من السجل الذي أمر به صالح باي انه كان في قسنطينة على عهده مدرستان ثانويتان، وهما "سيدي بوقصيعة"و"سيدي ابن خلوف" ولكن هذا السجل لم يشير إلى عدد المدارس الابتدائية[2].

ومن بين أهم المدارس التي شيدها صالح باي نذكر:

- **مدرسة سيدي الكتاني:**

شيدها صالح باي عام 1190هـ/1776م، لتعليم مختلف العلوم وتسمى بالمدرسة الصالحية وهي ملاصقة لمسجد الكتاني المدفون به، وقد لقي عمله هذا رضى الناس خاصة العلماء فأشد بعضهم شكرا وتخليدا ومدحا له:

طاب الزمان لمن يوالي نفعه ... للمسلمين وزاد علياه

ملك يوم الصالحات يعد له ... فاختار آخرته على دنياه

أحيا دروس العلم بعد درسها ... وبنى لها دار أزكى مبناه

أعني مدرسة لاحت أشقة النور ... ها لم وهي الدرفي معناه

جاءت بها نفس المعظم صالح ... ذلك المجاهد يبتغي مولاه

فإله يرزقه السعادة دايما(كذا) ... وينيله يوم القيامة معناه

قد بين التاريخ في قولنا ... فجرا المجاهد بالهنا مبناه[3].

---

[1]-سعيد دحماني، **عنابة فن وثقافة**، وزارة الاعلام، الجزائر، (د.ت)، ص 76

[2]- أم الخير ختو ، **المرجع السابق**، ص 45.

[3]-رشيدة شدري معمر، **المرجع السابق**، ص 130.أنظر كذلك:

R.Bourouiba,**Constantine Collectien art et culture alger 1978**,p119

وقد اختار لهذه المدرسة مشايخ للتدريس من خواص العلماء وأجرى لهم العطايا، ويوجد بالمدرسة 5 غرف واحدة للمدرسين وأربعة للطلبة وجهزها بكل المرافق، كما خصص منح للطلبة، وبجانب مسجد سيدي الكتاني أسس صالح باي مدرستين بقسنطينة، أولها المدرسة التي ذكرناها آنفا والتي انتهى من بنائها 1775م والثانية مدرسة سيدي الأخضر(1203هـ -1789م[1].

استحدث صالح باي نظاما دقيقا يتقيد به المدرسون والطلبة، ويخضع له العاملون بأماكن الدرس والعبادة، فبفضل هذا النظام وظف وكيلا يسهر على نظام الدراسة يساعده قيم في أداء مهمته، كما استحدث في كل مدرسة قاعة للصلاة وميضأة وخمس غرف إحداهما مخصصة للمدرسين، والأربع الأخرى يقيم بها الطلبة.

الذين كانوا يتوزعون بنسبة طالبين لكل غرفة، وخصص لكل من المدرس والوكيل والطلبة و المقيمين أجورا سنوية قارة، وبرنامج دراسي محدد، وقوانين دقيقة يخضعون لها[2]، ومن بين هذه القوانين نذكر:

- لا يقبل في المدرسة إلا من حفظ القرآن عن ظهر قلب
- يشترط فيه ألا يكون متزوج حتى ليتفرغ للدراسة فقط
- لا يسمح للطلبة بالمبيت خارج المدرسة إلا للضرورة القسوى
- أما العطلة فكانت محدودة من 20 إلى 30 يوم إذا لم يلتحق بعدها الطالب مباشرة يطرد ليعوض بطالب آخر[3].

وقد أثارت هذه التنظيمات التربوية إعجاب بعض الكتاب الفرنسيين وعلى رأسهم فايست(E.Vayssettes) الذي علق عليها "إنها تنم عن روح متفتحة وعقل واع، فهي لا تقل في شيء عما كان جار به العمل في مدارس فرنسا آنذاك"[4].

---

[1]- رشيدة شدري معمر، **المرجع السابق**، ص 130.

[2]-ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، **المرجع السابق**، ص 295.

[3]- نور الدين عبد القادر، **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء العهد التركي**، مطبعة البعث، ، 1965 قسنطينة ، ص 214.

[4]- Vaysstes,**O**.**P**.**CIT**,P354

وكان برنامج التعليم مسطرا، فعلى المدارس إلقاء ثلاثة دروس في اليوم:

- الدرس الأول يبدأ عند مطلع الشمس ويدوم حتى الساعة الحادية عشر.
- الدرس الثاني من منتصف النهار حتى وقت العصر.
- الدرس الثالث من العصر حتى غروب الشمس.

وكان على التلاميذ قراءة أربعة أحزاب كل يوم: اثنان عند صلاة الصبح واثنان بعد صلاة العصر، ويختمونها بصلاة يدعون فيها لمؤسس المدرسة "صالح باي".

وفي شوال (1194هـ - 1780 م) أصدر صالح باي قانونا خاص بالمدارس ومما جاء فيه: أن الأستاذ يعين مباشرة من طرف الباي صالح نظرا لتقديره للعلم والمعرفة، ولا يمكن لأي طالب أن ينام خارج المدرسة دون عذر، أو سبب مقنع يستلزم ذلك، أو زيارة أهله، وتكون العطل الممنوحة من عشرين إلى ثلاثين يوما، وإذا لم يعد الطالب إلى المدرسة بعد انتهاء العطلة مباشرة، بدون سبب يطرد ويعوض بطالب آخر، ولا يسمح للعاملين والطلاب غير المقيمين في المدرسة المبيت داخلها، وكل طالب لا يولي اهتماما بالدروس يكون جزاؤه الطرد النهائي [1].

ولا يمكن إدخال المواد الغذائية وأدوات الطبخ إلى المدرسة إلا الضروري منها، كما يمنع أيضا غسل الملابس داخل المدرس[2]. ونستخلص من هذه القوانين جانب كبير من الحكمة في تسيير أمور التعليم لأنه استعان بمشورة الشيخ عبد القادر الراشدي المفتي الحنفي وشعبان بن جلول قاضي الحنفية والعباسي قاضي المالكية[3].

أما في المناطق النائية فقام صالح باي ببناء الزوايا لتحفيظ القرآن الكريم، وكان صالح باي يهدف من هذه المؤسسات العلمية نشر التعليم بين الناس على نطاق واسع، ليتمكنوا من أمور دينهم، ولإعداد رجال يتولون أمور الإفتاء والقضاء والإمامة والتدريس، وكل ما يتعلق بالشؤون الدينية، بالإضافة إلى حفظ علوم الدين من الضياع والنسيان، والعمل على

---

[1] -R.Bourouiba,**O**.**P**.**CIT**,P121.

[2]- Vaysstes,**O**.**P**.**CIT**,P355.

[3]-رشيدة شدري معمر، **المرجع السابق**، ص 131

تحسينها و تعليمها، ويهدف كذلك إلى إعداد الفرد المسلم للحياة إعدادا جيدا ليفيد نفسه ومجتمعه والإنسانية كافة[1].

وحتى تؤدي هذه المدارس دورها كاملا حددت بالمدارس بفترة عشر سنوات، وكانت الدراسة في المرحلة الثانوية مجانا، بل الطلاب هم الذين يتقاضون الأجور، والمنح الدراسية. كما لا يمكننا أن ننكر دور المكتبات التي كثرت عبر أنحاء المدينة، وكانت هذه الكتب تأتي إلى هذه المكتبات عن طريق النسخ والتصنيف، أو تأتي من الخارج من بلاد الأندلس ومصر والقسطنطينية والحجاز، عن طريق الشراء والاقتناء[2].

كما أهدى مجموعة من الكتب والمخطوطات العربية و التركية تحمل ختمه إلى المكتبات والمساجد والمدارس من بينها مكتبة السيد حمودة بن الفكون التي كانت تحتوي على 2500 مجلد وكذلك مكتبة البشتارزي التي كانت تضم 500مجلد[3].

- **الأحياء و الجسور :**
- **الأحياء:**

لم يهمل صالح باي الأحياء في مدينة قسنطينة حيث أنشأ العديد منها:

- **حي سيدي الكتاتي:** الذي بنى فيه مسجدا ومدرسة 1775م، وأقام بالقرب منهما منازله الخاصة وبيوتا لحاشيته، منهم خدمه الايطاليون وجراحه الخاص النابولي الأصل، وتتصل بهذه المنازل البساتين والحدائق واصطبلاته وحمامه الخاص، كما أقام العديد من الدكاكين والتي تحيط بسوق الجمعة[4] ، وألحق بها مجموعة من أخرى من الدكاكين والفنادق خارج الباب الجديد قبالة كدية عاتي[5].

---

[1]-عبد القادر حلوش، **السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر 1871-1914**، (د،د،ن)، دمشق،1985، ص 11.

[2]- أم الخير ختو ، **المرجع السابق**، ص 49.

[3] -LALOE (F.), "A propos des manuscr its arabes de Constantine", in R.A N°66 1925, pp 106,107

أنظر كذلك: رشيدة شدري معمر، **المرجع السابق**، ص 131.

[4]-سوق الجمعة: يقع في طرف المدينة في اتجاه الجرف نحو الشمال الغربي، وكان هذا السوق أشهر سوق العصر، وقد اندثر بسبب الاستعمار. أنظر: فاطمة الزهراء قشي، **قسنطينة المدينة و المجتمع**، رسالة دكتوراه، جامعة قسنطينة،1998 ، ص 138.

[5]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، **المرجع السابق**، ص 293.

كما اهتم صالح باي بشارع الذميين (حومة الشارع)، هذه المنطقة كانت كئيبة المنظر لا تبعث السرور، فقام بشراء قطعة أرض منها قدرت مساحتها "بخمسة وعشرين ذرعا"، وذلك في أواخر محرم(1189هـ - 1775م) ، كما قام أيضا بالبيع والشراء و المعاوضة وذلك من أجل اقتناء قطعة كبيرة نسبيا،جعل منها مقهى وحوانيت ودار للمرضى من العسكر، وقد حبس جميع الأنقاض المذكورة التي بناها على الجامع الأعظم تحبيسًا مؤبدًا، واستثنى دار المرضى إذ جعلها مهيأة لسكن من حصل به مرض من العسكر ليستقر بها[1].

كما ينسب إليه أيضا تعمير ناحية الشارع وتحصينها، وهي الناحية التي أقطعها لليهود حتى أصبحت تعرف بحارة اليهود، فبنوا فيها منازلهم ودكاكينهم، وقد كانت هذه الناحية التي تقع ما بين باب القنطرة وحافة الهاوية المتصلة بها شبه مهجورة، وبذلك أمكن لصالح باي أن يحد من مضايقة اليهود، التي نتجت عن اختلاطهم بالمسلمين بحومة الجابية وحي سيدي الكتاني خاصة، فضلا على أن تجميع اليهود في حي خاص بهم يسهل على إدارة البايلك مراقبتهم والتحكم في نشاطهم، وبهذا الإجراء أعاد صالح باي النشاط إلى جزء من المدينة ظل شبه مهجور، وأصبحت هذه الجهة من المدينة التي تعرف برحبة الصوف مركزا تجاريا مهما، بعد أن سارع اليهود إلى فتح دكاكينهم وإقامة حوانيتهم بالشارع الرئيسي، الذي يصل باب الواد بباب القنطرة مباشرة، مما ساعد على تركيز النشاط التجاري به فيما بعد،[2].

وبهذا يكون صالح باي قد أعاد النشاط والحياة لهذه المنطقة، وكان اليهود قد اشتهروا بالمعاملة التجارية وبالمهن الحرة وبالصنائع الدقيقة والثمينة كالخياطة، وصياغة الذهب والفضة، واختبار العملة والصرافة، وكانوا يبيعون الدخان والعطور ، كما كانوا أيضا يحترفون الترجمة في البلاط والجلسات الرسمية، وقد مكنهم وضعهم هذا ومهنتهم هده ان يحوز هم نفوذ في الحياة السياسية والاقتصادية بالمدينة[3].

---

[1]- أم الخير ختو ، **المرجع السابق**، ص 50.

[2]-ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، **المرجع السابق**، ص 293.

[3]-عبد العزيز الفيلالي، **المرجع السابق**، ص 163.

وبالتالي فقد لعب صالح باي دور كبير في ازدهار مدينة قسنطينة وتجميل مدنها وأحيائها، فعاشت قسنطينة في عهده أوج ازدهارها حيث أصبح اسمه يرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ المدينة إلى وقتنا الحالي[1].

❖ **الجسور:**

بالإضافة إلى الأعمال العمرانية الكبرى التي قام بها صالح باي، نذكر ما قام به هذا الأخير من مجهودات لبناء الجسور وإصلاحها، لإنعاش التجارة الداخلية بين المقاطعات، ومن بين أهم المشاريع ترميم وإصلاح جسر القنطرة، فبعد أن تعطل الجسر الروماني منذ ما يزيد عن خمسة قرون، ولم يبق منه سوى بعض الأسس المتداعية، فعزم صالح باي على بنائه وتشييده من جديد، وجلب لهذا الغرض مائة عامل من البلاد الأوروبية ليعملوا في تشييد الجسر تحت اشراف المهندس الاسباني "الدون بارتو ليمو" (Don.Bartolimeo)، مع أنه عدل عن المخطط الأول الذي عزم على تنفيذه، والقاضي بجلب مواد البناء من الخارج كالحجارة المعالجة والمتوفرة بجزر الباليار، عندما اكتفى باستخدام أحجار الخرائب الرومانية الموجودة بكثرة بالقرب من حصن المنصورة، فان هذا المشروع تطلب مبالغ مالية طائلة[2].

لقد كان صالح باي يهدف من تشييد هذا الجسر ربط المواصلات بين قسنطينة والنواحي الشرقية للبايلك، وذلك بجعل قسنطينة منطلق الطرق الشرقية والجنوبية الشرقية التي كانت تسلكها الحملات العسكرية والقوافل التجارية.

كما كان يهدف صالح باي من عمله إلى هذا جلب المياه الصالحة للشرب من عين العرب الغزيرة الواقعة بأعالي سوق الغزل، والتي كانت تزود الحوض الواقع خارج باب القنطرة إلى داخل المدينة عن طريق الحنايا التي ترتبط بجسر القنطرة حتى لا يضطر السكان إلى حمل الماء من أسفل الوادي عبر باب الجابية"الصهريج"[3].

---

[1]- أم الخير ختو ، **المرجع السابق**، ص ص 51- 52.

[2]-ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، **المرجع السابق**، ص ص293-294.

[3]-**نفسه**، ص 294.

أن هذا المشروع العمراني النافع لم يتمكن صالح باي من اتمامه وتنفيذه حسب الخطة التي وضعها له،فالعمل بالجسر لم يشرع فيه سوى في سنة "1792(فيفري)" وهي السنة الأخيرة من حكمه، وهذا ما تثبته إحدى الوثائق التي عثر عليها ضمن أوراق عائلة"القاضي سيدي مصطفى بن جلول" الذي شغل منصب القاضي في عهد صالح باي، والتي أشارت إلى ذلك بهذه العبارة"الحمد لله ذكر لنا جذر الولاة، ومنبع الفضل والخيرات، سيدنا صالح باي أبقى لله تعالى وجوده، أن النصراني الذي جاء مع جماعة منهم لأجل بناء القنطرة المعروفة قديما بالمشبكة عند حي باب القنطرة[1]، أخبره أن تاريخ بنيان القنطرة في السابق كان كما هو مكتوب بالسرياني بعد.....سيدنا عيسى.....بثلاثمئة سنة وخمسة وثلاثين سنة في أوائل جمادى الثانية 1206هـ(فيفري 1772)[2].

وقد أدى تمرده إلى توقف العمل في الجسر، فبقي الجسر غير مكتمل عندما أمر "الباي حسين" الذي خلف صالح باي بعدم الاشتغال فيه، فظل الجسر عبارة عن متاريس من الحواجز(parapet) منتصبة فوق أرضية الجسر، وبذلك لم يتم جلب الماء إلى قسنطينة من عين العرب، ولم يأخذ الجسر شكله الأخير الذي هو عبارة عن صف من الأقواس يكون بمثابة جسر للمرور، وحنايا لحمل الماء، فلم يهتم بايات قسنطينة باتمامه حتى انتهى أمره بالهدم على يد الإدارة الفرنسية في 18 مارس 1857م[3].

2- مؤسسات الأوقاف:

يعتبر الوقف من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية، فهو يعبِّر أساسا عن الإرادة الخيرة في الإنسان المسلم، وعن إحساسه العميق بالتضامن مع المجتمع الإسلامي، واتبعها المسلمون منذ أوائل الإسلام، ولكن بتطور الزمن تكاثرت وتعددت أوجهه وأغراضه، وقد تطور خاصة في العهد العثماني نتيجة اعتبارات سياسية واقتصادية[4]، وتتمثل الأوقاف أساسا في

[1]-ناصر الدين سعيدوني،ورقات جزائرية ، **المرجع السابق**، ص 294

[2]- أم الخير ختو ، **المرجع السابق**، ص 53.

[3]-ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، **المرجع السابق**، ص 294.

[4]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، **المرجع السابق**، ص 213.

العقارات، ونادرا ما تمثلت في المنقول من الأملاك، مثل: الكتب، التي حبسها صالح باي على الجامع الذي بناه، وكذا المدرسة المحاذية له(سيدي الكتاني)[1].

لقد حظيت مؤسسة الأوقاف برعاية صالح باي، حيث مهد في تنظيمه للأوقاف باجراء احصاء شامل ودقيق لكل مايتصل بالاوقاف قد أشرف عليه القاضي الحنفي الشيخ عبد القادر الراشدي[2]، من خلال تعيين عمال يسجلون أملاك المساجد، والمؤسسات الخيرة، بحيث تكون تحت إشرافه ومراقبته، وقد أمر بتدوين تلك الأملاك في سجل كبير، حيث دونت فيه قائمة المساجد والمؤسسات المدنية، بما لها من أملاك وأوقاف، كما وضعت دفاتر صغيرة الحجم خصت كل مسجد بصفة مستقلة، وقد بلغ عددها المائة، لكن هذه السجلات ضاعت كلها، باستثناء جزء من دفتر دونت فيه عقود أحباس الجامع الأعظم، الذي بناه صالح باي، وقد يكون مصدر هذه العقود النسخة الذي احتفظ بها قاضي الحنيفة"شعبان بن عبد الجليل"، وبالتالي نستنتج أن سياسة صالح باي القوية في البيع والشراء و المعاوضة، حتى بأملاك الأوقاف و التي ساهمت في توزيع العمران وتنظيم الأملاك العامة، وتمركزت منشآته العمرانية بين سوق الجمعة وسوق العصر والشارع، بينما كانت قليلة في القصبة والطابية وباب الوادي وكانت نادرة في البطحاء[3]

وحتى نبين مدى حرص صالح باي على تنظيم مؤسسة الأوقاف بقسنطينة نثبت ما جاء في إحدى وثائق الوقف المؤرخة في 1190هـ:" الحمد لله ولما وقع التقصير من وكلاء مساجد قسنطينة ولم يكن لهم اعتناء بشأن الأوقاف وفرطوا في ذلك غاية التفريط وضاع الكثير منها ....وبلغ أمر ذلك لحظرة المعظم الأسعد المنصور....سيدنا صالح باي أيده الله تعالى....فألهمه الله إلى أحياء ما اندرس من المساجد والأوقاف...أمر حينئذ قضاته أو المفتيين أن يبحثوا على أوقاف المساجد وعلى المساجد التي دمرت، ويثبتوا ذلك في ثلاث سجلات متماثلة، فإمتثلوا أمره، وبذلوا جهدهم في البحث عن أوقاف المساجد وعن المساجد التي اندثرت، وأثبتوا بعد الكشف عن ذلك، أوقاف مساجد بلد قسنطينة بهذا السجل و بثلاث سجلات مماثلة له لفظا ومعنى، وضع أحد السجلات عند صاحب بيت

---

[1]-أم الخير ختو ، **المرجع السابق**، ص 55

[2]-ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، **المرجع السابق**، ص 295.

[3]- أم الخير ختو ، **المرجع السابق**، ص 56.

المال والثاني عند شيخ البلد، والثالث عند قاضي الحنفية، والرابع عند قاضي المالكية.... وذلك أواسط شهر ربيع الأول المنور عام 1190"[1].

ولقد اتخذت أوقاف صالح باي من المدرسة والجامع الأعظم مركزا رمزيا، فانجر عن ذلك نقل وسط المدينة وتوسع عمران لم يسبق لقسنطينة أن عرفته قبل هذا التاريخ، كما أن كثافة هذه العمليات فوق مساحة صغيرة من المدينة تبين لنا مجال تدخل صالح باي وحدوده، وارتباط كل العقود بالمدرسة والجامع، إما في حبس خيري مباشر أو في حبس ذري يؤول إليها في نهاية المطاف[2].

ولقد احتلت سوق الجمعة الصدارة في معاملات صالح باي، ويعود أقدم عقد في المجموعة إلى عام(1178هـ- 1773 م)، وقد ورد فيه أن صالح باي قد باع دارا بسوق الجمعة والمعروف أن المدرسة بنيت فوق ضريح سيدي الكتاني.

كما أن عمليات تأسيس الأوقاف على المؤسسين توضح لنا تطور الفكرة وتوسع العمران، ومدى تأثير صالح باي على النسيج العمراني ومصيره، وهكذا أخذ صالح باي موقفا جزئيا بأخذ مركز المدينة نحو أبعد نقطة من الأبواب المعتادة "باب الوادي، وباب الجديد[3].

ولقد قام صالح باي بشراء شارع الذميين الذي والذي قدرت مساحته خمسة وعشرين ذراعا وحبسها على جامعه في أواخر محرم 1775م، كما قام بحبس جميع الأنقاض المذكورة التي بناها على الجامع الأعظم تجيسا مؤبدا، واستثنى دار المرضى التي بناها إذ جعلها مهيأة لسكن من حصل به مرض من العسكر ليستقر بها[4].

ولقد تمركزت أملاك صالح باي التي أوقفها على الجامع في باب الوادي في حدود مثلث بين الشارع وسوق الجمعة ومقعد زواوة قرب الأبواب الرئيسية، فحبس أربعة عشر حانوتا على الجامع الأعظم، وكانت هناك وقفيات أخرى على مساجد قسنطينة، مثل جامع

---

[1]-ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، **المرجع السابق**، ص 295،296.

[2]-Ferraud .L.**Ch**:**tournee dans la prevince de censtantine** .Preue Africain N=67.1868. P49.

[3]- أم الخير ختو ، **المرجع السابق**، ص 57.

[4]- Ferraud,**O**.**P**.**CIT**,P50.

سيدي الدبي، كما مست وقفيات صالح باي أحياءا بكاملها:"محلة سوق الجمعة"،"سوق العصر"و"حومة الشارع"و"مقعد زواوة"، وبلغت حتى "الطابية"و"باب الوادي" فكانت فرصة لترتيب عمران جديد، وكان اهتمام الباي وحرصه على الجامع الأعظم يعود أساسا لحداثة بنائه.

كما قام صالح باي بالمعاوضة بأوقاف المساجد، ونعني به تبديل الحبس من عقار أو مبادلة بملك آخر مساو له في القيمة، وتتم المعاوضة حرصًا على الحبس نفسه، وعلى مصلحة المستفيدين، خاصة إن كان الحبس يفقد قيمته سنة بعد أخرى ولم يعد يؤدي الريع المنتظر منه[1].

ويلاحظ أن صالح باي قبل أن يوقفها، قام بشراء الأملاك من الخواص وتعويضهم عنها ليكمل مشاريعه العمرانية، ففي سنة 1193هـ...قام صالح باي بمعاوضة داخل المدينة بسوق القصاعين المحاذي لسوق الجمعة، وبنى حانوتين وممرا للجنينة التابعة لداره وحبسها على نفسه.

و تمت معاوضة أخرى بين الباي و بين الجامع الذي أحدث بنيانه بالدار التي مست الدار الجوفية، و بهذا صارت هذه الأخيرة وقفا من أوقاف الجامع، تصرف غلتها لصالح المدرسة و هي ملكا من أملاك الباي في أوائل ذي الحجة من سنة 1194هـ.

كما قام صالح باي بشراء جميع الشراكات المتواجدة بحامة البدو، و القريبة من ضريح سيدي محمد الغراب و ضواحيها بأربع مائة ريال من عند قاضي الحنفية " شعبان بن عبد الجليل".

و باعت عائشة بنت حسين باي زرق عينو " أراضي لصالح باي قدرت بثلاثة آلاف ريال، و هي مساحة واسعة، اضافة الى أراضي اشتراها من عند "بنت محمد خوجة" قدرت بألف ريال كبيرة الضرب وثلاثة مائة ريال ذهب[2].

وهكذا يعد صالح باي أول من قام بمعاوضات مع المساجد في أملاك المساجد، وصاحب الوقف المعني بالمعاوضة على أن لا تقع المعاوضة في أملاك المساجد أصلا.

---

[1]- أم الخير ختو ، المرجع السابق، ص58.

[2]- **نفسه**، ص ص 58-95.

وبهذا يمنع العلماء ونظار الأوقاف من كل معاملة تهدف إلى المعاوضة، فيصبح فائض علة أوقاف كل مسجد يشتري بها عقارات لنفس المسجد لزيادة مدا خيله وعلى هذا الأساس تمت المعاوضات بين صالح باي ونظار المساجد من جهة، ومع بعض ملاك العقارات من أعيان المدينة من يهود من جهة أخرى[1].

كما شملت المعاوضة أراضي بالقرب من ضريح "سيدي محمد القراب" مقابل مناول النسيج، ودكاكين الحياكة، وسعى إلى البحث عن مساحات خضراء على أن تكون قريبة من عين المكان وهذا بهدف توسيع أملاكه بالمنطقة.

ويعد صالح باي الأول من أعيان المدينة بتوقيف أملاكه على أولاده بعدما كرس مجهوداته لضمان موارد للمنشلآت التي أسسها.

فقد كان للأوقاف في سياسة صالح باي من الأهمية الكبرى اذ يكفي معرفة عدد المساجد والزوايا التي دونت في سجل الأوقاف والتي تكاد تناهز الخمسة والسبعون مسجدا، وثلاثة عشر زاوية داخل المدينة، أما خارجها فقد بلغ عددها خمسة جوامع، ومقارنة مع مساحة المدينة المقدرة بأربعين هكتارا فان عدد هذه المنشآت كبير جدا[2].

[1]- رشيدة شدري معمر، **المرجع السابق**، ص132.

[2]-أم الخير ختو ، **المرجع السابق**، ص60.

-الفصل الرابع: نهاية حكم صالح باي

1- أوضاع بايلك الشرق قبل وفاة صالح باي

كل المصادر التي اعتمدنا عليها والتي تحدثت عن تغير سيرة صالح باي، لم تشرح سبب هذا التغير، واكتفت بوصفه بالمفاجئ، دون أي تعليلات منطقية ودلائل موضوعية، فصالح العنتري يقول عنه:«...له سيرة مليحة وسياسة مستحسنة حميدة، يسمع كلام الشاكين، وينصر المظلومين، فهو دائما يحب العمل الصالح»[1]، كما أثنى مبارك العطار عليه بقوله:«...حسنت أيامه، وبلغ ما لم يبلغه من هو أكبر منه من ولاة تونس والجزائر،... عمر الوطن، وسعدت الناس في دولته،... وأخباره مشهورة، وصدقاته مأثورة» [2]ويقول العنتري في موضع آخر «... لما قرب أجله، وحانت وفاته، تبدلت سيرته، وانعكست حقيقته، وصار يظلم ناس الزاوية، حتى أفضى به ذلك إلى الهلاك والهاوية» [3] .

ونقلا عن فايسيت ومرسي« صالح باي تغير عن حاله الأولى، بعد أن كان متسما بالعدل والنزاهة والحياء، أصبح دون سابق إنذار حاكمًا فضيعا مع رعيته، وقاهرا لهم،حتى أنه نزع أملاك الذين تسبب هو في إثرائهم»[4].

وبالتالي نلاحظ أن كل المصادر تقريبا لم تكن موضوعية بصفة كافية، ولم تعطنا الأدلة الوافية لنقتنع بهذا التغير المفاجئ لسيرة هذا الحاكم الذي عرف بحكمته وحس مسؤوليته، وهنا يمكننا أن نذكر من جهة أخرى أنه كانت هناك مؤامرات كثيرة للتخلص منه، منها ما فعله الخزناجي للإيقاع به.

- **خيانة الخزناجي وقتله:**

تمثلت في سرقة الخزناجي[5] لطابع الباشا، وكتب مكتوب إلى صالح باي وأمره بأن يوسق لمن جاءه إلى مرسى عنابة من الاسبان بالقمح نحو عشرى شقوق[6]، حيث يقول نقيب

---

[1]-محمد صالح العنتري، **المصدر السابق**، ص 60.

[2]-مبارك العطار، **تاريخ قسنطينة**، تح: نور الدين عبد القادر، (د.د.ن)، الجزائر، 1956، 67.

[3]- محمد صالح العنتري، **المصدر السابق**، ص12.

4 -Vayssete. **OP.CIT**.P390.

[5]- الخزناجي: هو محمد باشا عرف بالظلم. أنظر: أحمد الشريف الزهار، **المصدر السابق**، ص 50.

[6]- رياض بولحبال، **المرجع السابق**، ص 47.

الأشراف أحمد الزهار«... كان الباشا محمد عثمان، أمر صالح باي، أن لا يرسل القمح إلى بلاد النصارى، غير أن خزناجي الباشا، بعث جوابا من غير علم الباشا، إلى صالح باي، يأمره بوسق الحبوب إلى بلاد النصارى،... ووصل الخبر بعد ذلك إلى الباشا بأن صالح باي مازال يرسل القمح إلى بلاد النصارى، على خلاف ما أمر به الباشا»[1]، وكانت الرسالة مختومة بختم الباشا، وبقي يتجسس هذا الأخير ويختبر في الأحوال إلا أن وقف على كيفية ذلك المكتوب فوجد مملوكه المعد الذي يدخول معه إلى الحمام هو الذي سرق طابع وطبع به ذلك الكاعط وأعطاه للخزناجي، فلما أن تحقق له ذلك مسك الخزناجي و المملوك وقتلهما[2]،وإسند منصبه إلى حسن وكيل الخرج، كما أسند وكيل الخرج إلى علي برغل الخزندار، وهما صهرا الخزناجي المقتول، وبما أن زوجاتهما رأتا أن صالح باي كان سببا في قتل والدهما حقدتا عليه وطالبتا زوجيهما بالثأر لأبيهما وقتل صالح باي[3] حيث يقول الحاج أحمد الزهار«... وحزنت بنتاه عليه حزنا شديدا، وعرفتا أن صالح باي هو المتسبب في ذلك، فقالتا لزوجيهما، لا بد لكما من الاحتيال على من كان السبب في مقتل أبينا، ونقتله»[4]، وما لبثت أيام قليلة إلا والباشا بعث مكتوبا للديوان و الأغا، وأمرهم بربط صالح صالح باي وعزله وعين مكانه ابراهيم بوصبع[5].

- **ولاية إبراهيم باي بوصبع:(1206هـ-1792م)**

بعد اتمام ماذكر سابقا دخل ابراهيم بوصبع قسنطينة وجلس على كرسي الملك وضربت عليه المدافع على حسب العادة القديمة، وقابلوه أهل البلد و العساكر بالتهنئة و الفرح والسرور، وبات تلك الليلة ومن الغد بعث لأولاد صالح باي وأمنهم على موت أبيهم وحلف لهم بإيمان مغلضة أن لايمت أباهم إلا إذا مات

---

[1]-أم الخير ختو ، **المرجع السابق**، ص 63.

[2]-رياض بولحبال، **المرجع السابق**، ص 48.

[3]- أم الخير ختو ، **المرجع السابق**، ص 64.

[4]- أحمد الشريف الزهار، **المصدر السابق**، ص 80.

[5]- ابراهيم بوصبع: ابن بابا علي بوصبع باشا، مدة حكمه جد قصيرة. أنظر: محمد صالح العنتري، **الفريدة المنسية في دخول الترك مدينة قسنطينة**، تح: يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991،ص 84.

هـو قبلـه، ثم بعـد ذلـك أمـرهم بالقـدوم عنـد أبـيهم للسـجن ومعهـم قائـد الـدار، واجتمعوا معه وحكوا له ماذكر لهم ابراهيم باي من الأمن وقلة الخوف[1].

- **عودة صالح باي للحكم:**

لقـد اتفـق أربـاب دولتـه وديوانـه مثـل الخزنـدار وقائـد المقصـورة والمـزوار[2] مـع بعضـهم البـعض علـة قلـة الطاعـة و الانقيـاد إلى ذلـك البـاي إبـراهيم، وعزمـوا علـى قتلـه وإخـراج سـيدهم صـالح بـاي مـن السـجن، وفي الليلـة الرابعـة مـن دخـول ابـراهيم بايـا ربطـوا ربطـة صـحيحة بـأن لا لهـم مـن قتلـه في تلـك الليلـة، فلمـا جـاء المسـى صـلى البـاي إبـراهيم صـلاة المغـرب وتعشـى مـع كبـار ديوانـه وبعـد دخولـه لغرفـة النـوم قـاموا أصـحاب الربطـة بذبحـه، وبعـد ذلـك طلعـوا لشـالح بـاي وأخرجـوه مـن السـجن، وقصـوا عليـه الفعـل الـذي فعلـوه، فـأنكر علـيهم ذلـك وقـال لهـم" بـأس الفعـل الـذي فعلتمـوه، ولكـن الواقـع لا يرتفـع"، ومشـى معهـم لـدار الحكـم وجلـس علـى كرسيه، ومـن الغـد نـادى كـبراء العسـكر وتكلـم معهـم بمقصـوده وطلـب مـنهم البقـاء معـه علـى وجق الجزائر فأجابوه بذلك ووافقوه وتعاهدوا على ألا يخونوه[3].

[1]- رياض بولحبال، **المرجع السابق**، ص ص 50-51.

[2]- Roset et Carret**, L'Algérie,** Paris imprimerie ,1850, p211.

[3]- رياض بولحبال، **المرجع السابق**، ص ص 50-53.

2_الأسباب الحقيقية لمقتله:

هناك أسباب متعددة، منها ما يعود لتصرفات صالح باي الشخصية، ومنها ما يرجع إلى طبيعة الظروف التي كانت تعيشها الجزائر أواخر ق 18، فالمصادر تكاد تتفق على أن التصرفات الشخصية والقضايا العائلية هي السبب الحقيقي وراء نهايته المأساوية، وهذا محمد الشريف الزهار نقيب الأشراف وصالح العنتري، والشيخ المبارك، ومن أخذ عنهم أمثال فايسيت وفومون، ومرسي، وفيروا...الخ[1].

فنقيب الأشراف يذكر أن صالح باي كان سببا في مقتل خزناجي، وبنت هذا الخزناجي ألحت على زوجها للثأر من صالح باي، والواقع أن هذا السبب ليس وجيها وغير منطقي، حتى أن نقيب الأشراف عندما أورده علق عليه بالقول:"... والعجب كيف يقتل رجل مثل هذا، لأجل خاطر زوجته".

كما أن الأستاذ أحمد توفيق المدني عندما نشر جزءا من مذكرات نقيب الأشراف من كتابه "محمد عثمان"، لم يأخذ بهذه الرواية ولم يركن إليها[2]، ولهذا نحاول استعراض أسباب أخرى أعم وأشمل، ربما تكون هي السبب الحقيقي في مقتل صالح باي، ونجملها في النقاط التالية:

- **كثرة أعداء ومنافسي صالح باي من الأتراك:**

حيث أدت تصرفات صالح باي المتميزة بالشدة والصرامة إلى اكتسابه أعداء، ظلوا يتربصون به الدوائر، وكانت لهم يد كبيرة في إصدار قرار عزله، وقد أشار إلى ذلك الشيخ المبارك في قوله" ثم كثرت الوشاية بصالح باي، عند صاحب الجزائر، فعزله، وولى مكانه إبراهيم" وكان من بين هؤلاء إبراهيم بوصبع، الذي كان قائد الزمالة، وأحد أكبر رجال البايليك بقسنطينة،وانتهى به الأمر أن يعين خلفا لصالح باي، لكنه كما سبقت الإشارة لقي حتفه، ومن أعدائه أيضا حسن ولد عجشي المعروف ببوحنك، والذي اضطر أن يهرب إلى الجزائر فرارا من صالح باي، وعندما قتل إبراهيم بوصبع كلفه الداي بابا حسن

[1]-ناصر الدين سعيدوني، **المرجع السابق**، ص 298.

[2]- أحمد الشريف الزهار، **المصدر السابق**، ص 64.

بأن يقوم بالقضاء على صالح باي، فوجد في ذلك فرصة لينتقم لنفسه، ولصهره، إبراهيم بوصبع[1].

- **تحول طائفة الحضر عن تأييد صالح باي:**

حيث كانت قسنطينة طوال العهد التركي تتميز بظهور طبقة من الحضر، كان لها تأثير مباشر على الأوضاع الداخلية بالمدينة، ولهذا لم يجد الأتراك بدا من منحها الكثير من الامتيازات،[2] وقد اشتهرت من هذه الطبقة عائلات احتكرت الوظائف الإدارية والثقافية، والتجارية بالمدينة، مثل أسر ابن الفقون، وعبد المؤمن، وغيرهم، وقد وجدت هذه العائلات فائدة ملموسة في استقرار الأوضاع بقسنطينة على عهد صالح باي، ولهذا أبدت تأييدها له وقدمت له خدمات كثيرة، لكنها بدأت تتخوف منه عندما حاول فرض الضرائب الثقيلة، والقيام بالمصادرات، ولعل ما زاد في تخوفات أعيان قسنطينة أيضا، موقف صالح باي من تونس والذي تسبب في الإضرار بتجارة القوافل مع إقليم تونس، ومما زاد في نفورهم أيضا انتهاجه سياسة تصدير كميات كبيرة من المحاصيل الزراعية عن طريق الشركة الملكية الإفريقية الفرنسية، وقد حاول صالح باي جاهدا أن يسترضي جماعة الحضر علّه يجد العون لديهم، في حركته ضد الباي الجديد، لكن جماعة الحضر لم تثق به وفضلت تنصلها منه خوفا من مضايقاته المالية الثقيلة[3].

- **عداء أهالي الأرياف لصالح باي:**

حيث عمل صالح باي في أول الأمر على منح امتيازات لشيوخ القبائل والزوايا وزعماء العشائر، وقد مكنته هذه السياسة من مد نفوذه على مناطق واسعة، ولكن بعدها لم يعط لهم وزنا خاصة بعد أن أمن جانبهم، ولم يعد يخشى بأسهم، وهذا ما جعل هؤلاء الزعماء والشيوخ يكفّون عن تأييده، بل انتهى الأمر ببعضهم إلى الوقوف في وجهه والانضمام إلى جيش حسن باي وهو في طريقه للقضاء على صالح باي اثر مقتل ابراهيم بوصبع[4].

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، **المرجع السابق**، ص 298.

[2]- أم الخير ختو ، **المرجع السابق**، ص 68.

[3]- **نفسه**، ص 68.

[4]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، **المرجع السابق**، ص 300.

- **أسلوب صالح باي في الحكم:**

ففي أول الأمر حاول صالح باي اكتساب تأييد رجال الدين وذلك بمنحهم عطايا وامتيازات، حتى أنه أسقط المطالب المخزنية عنهم، وأعطاهم الاقطاعات الواسعة، شأنه شأن البايات قبله، لكن رجال الدين مالبثوا أن اتخذوا موقفا عدائيا اتجاهه، اذ فضلوا مساندة أهالي الأرياف الذين عانوا في المدة الأخيرة من الضرائب المالية التي حرمت رجال الدين من عوائد الزيارة، وبالتالي كان سببا في شح مواردهم، إذ كلما كثرت الضرائب كلما نقصت الهدايا المقدمة لهم، بفضل هذه العوامل أصبح رجال الدين والزوايا يناصبون العداء لصالح باي، ونذكر بهذا الصدد أن الشيخ محمد الغراب الذي أدى به موقفه العدائي من صالح باي إلى تحريض أتباعه على الثورة على صالح باي وهذا ما دفع صالح باي لإلقاء القبض عليه وإعدامه، رغم توسل حاشيته ووجهاء البلد[1]، وتذكر الروايات الشعبية أن هذا الوالي تحول إلى غراب واستقر ببستان صالح باي، المعروف اليوم بسيدي محمد الغراب، ورأت في ذلك طالع شؤم ينذر بعاقبة صالح باي الوخيمة ؟[2].

وجملة القول أن كل هذه المواقف السلبية التي وقفها صالح باي من شيوخ الزوايا تسببت في تحول العامة عنه، وقد أشار إلى ذلك صالح الفتري بقوله« وصار يظلم ناس الزوايا، حتى أفضى به ذلك إلى الهلاك والهاوية»[3].

- **تآمر الاحتكارات اليهودية عليه:**

لعل أهم أحداث نهايته المأساوية، تأمر الاحتكارات اليهودية ضده، بعد أن انتهج سياسة مراقبة الصادرات والتحكم في الواردات، وعدم السماح بالصفقات التي كان يعقدها بعض الموظفين مع اليهود، قصد تصدير الحبوب إلى أوربا، وحتى نعرف موقف صالح باي من هذه القضية وجب بنا أن نستشهد بالفقرات التي أوردها نقيب الأشراف بقوله

« فقال له الباشا ألم يصلك كتابي ؟، فأجابه: بلى، لكن وصلني كتاب من الخزناجي يأمرني بأن أترك الوسق حرا لمن بيده كتاب منه، فهذه هي كتب الخزناجي، فغضب الباشا على

---

[1]-**نفسه**، ص 300 .

[2]- أم الخير ختو ، **المرجع السابق**، ص 69.

[3]-ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، **المرجع السابق**، ص 302.

الخزناجي، وأمر الباي بأن لا يسمح لأحد بالوسق،... وأمر وكيل الخرج بأن يقضي على الخزناجي[1]، وبذلك أحبط صالح باي صفقة تصدير الحبوب إلى أوربا عن طريق اليهود المتعاملين مع الخزناجي، ولهذا لا نستبعد بأن يكون أمر عزل صالح باي صدر من الداي تحت ضغط الاحتكارات اليهودية، التي رأت في صالح باي عقبة أمام مطامعها الرامية للسيطرة على ثروات الشرق الجزائري[2].

– تغير نظام الحكم بالجزائر وما ترتب عنه من تعديلات في سلك الموظفين:

ويضاف إلى تلك العوامل السابقة، تلك التغيرات التي عرفها نظام الحكم في الجزائر وما ترتب عنه من تعديلات في سلك الموظفين اثر موت الداي محمد عثمان باشا فقد بادر الداي الجديد "بابا حسن" إلى تنحية العديد من الموظفين وفي مقدمتهم بايات التيطري، وقسنطينة، وكان مدفوعا بعدة عوامل منها خوفه من أن يقدم والي قسنطينة أو والي المدية بالانفصال، وقد صرح بذلك نقيب الأشراف في قوله: « ...وحسن باشا، كان خائفا من الباي أن يثور عليه، لاسيما وأن هناك كثيرا من الاشاعات مفادها أن بناء جسر القنطرة كان يهدف من ورائه صالح باي إلى الانفصال عن الحكم المركزي بالجزائر،... والواقع أن تصرفات صالح باي والثروات الطائلة التي جمعها،... زادت من مخاوف الداي» .

وعلى كل فان عهد بابا حسن، عرف تغيرا جذريا في سياسته، فاليهود أصبحوا المستشرين المفضلين، بينما تعرض عمال الدولة والموظفون القدماء للمصادرة والتغريم والقتل، فمحمد الذباح الذي كان بايا على التيطري صودرت أملاكه سنة 1791، و "مصطفى الوزناجي" عزل هو الآخر عن بايليك التيطري بعد حكم دام 20 سنة، كما أن صالح باي انتهى أمره بالقتل كما عرفنا سابقا، وقد عقب على هذا الوضع الذي انتهى اليه رجال الحكم التركي بالجزائر نقيب الأشراف بقوله: « ... نظر اليها المعتبر في أمر هؤلاء ملوك الأتراك، كيف يقتلون رجالهم وخصوصا خيارهم، والعجب كيف يقتل رجل مثل هذا ؟»[3].

---

[1]- أحمد الشريف الزهار، **المصدر السابق**، ص 49.

[2]-ناصر الدين سعيدوني،ورقات جزائرية، **المرجع السابق**، ص 302.

[3]-**نفسه**، ص 303،304.

3-وفاته:

بعد أن تم القبض على صالح باي، نفذ فيه حكم الإعدام خنقا بحصن القصبة، ليلة "الأحد 16 محرم 1207" الموافق ل 2 سبتمبر 1792م[1]، بعد حكم دام اثنين وعشرين سنة[2]، ثم سلمت جثته لعائلته لتقوم بمراسيم الدفن، وقد ترك صالح باي عشرة أبناء منهم سبعة بنات وثلاثة أولاد، تولى أحدهم وهو محمد منصب الخليفة بقسنطينة، ومكنت الظروف آخر من تولى منصب الباي، وهو حسن، كما ترك صالح باي أيضا مجموعة من الخدم، ظلوا مخلصين له، يعرفون بعائلة بن وطاف، ظلوا ملتزمين بخدمة أبنائه وحفدته[3].

4- مصادرة أمواله:

اهتمت الكتابات الفرنسية بأموال صالح باي، فقد وصلت تلك الأموال حيث بعض المصادر إلى 12 مليون من الفرنكات، والذهب والفضة، والأثاث الرفيع، والسلاح الثمين، وما كان من الأموال عنده كاد يماثل ما في خزانة الجزائر نفسها، وهذا ما دفع بالشيخ المبارك يقول:«...جمع من الأموال ما لم يجمعه غيره»، هذا بالإضافة إلى الخيول، والبغال، والإبل، والحبوب...الخ، وبعد موت صالح باي قام وكيل الخرج بمصادرتها ورفعها إلى الجزائر حتى ضن الناس عندما رأوها بأنه كان يضرب السكة، كما بقي عدد كبير من الأموال عند أتباعه، وأصحابه، وأهله، والبعض بقي مخزون تحت الأرض، وهو ما يوضح لنا أن أموال الدولة الجزائرية في هذه الفترة لم تكن مصونة ومحمية، حيث كان التلاعب بها من قبل البايات، وهو ما جعل الباشاوات يلجؤون إلى عملية المصادرة لهذه الأموال بعد مقتل البايات أو عزلهم[4].

---

[1] -مبارك بن محمد الهلالي الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، (د.ت)، ص 243.

[2] - ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، **المرجع السابق**، ص 152.

[3] - **نفسه**، ص 297.

[4] - مختارحساني ، **المرجع السابق**، ص 17.

خاتمة

بعد هذه الدراسة، التي حاولنا من خلالها التعمق في شخصية فذة ومميزة، وهو صالح باي الذي عرف بأخلاقه الرفيعة، وصفاته الحميدة، كما امتاز بالشجاعة، وأصالة الرأي، حتى أن المؤرخ فايسيت أعجب به ووصفه بقوله" ...إن كان يوجد ما ينافسه كرجل حرب، إلا أنه كرجل إدارة، لم يدرك شأنه أحد، فهو بحق متقدم على زمانه وعلى من حكمهم من الأهالي"، وقد استطاع أن يكسب احترام العامة وتقدير أعيان البلد رغم المعارضة التي واجهها من شيوخ الزوايا ومرابطي الطرق ورؤساء العشائر، والتي أشرنا إليها كإحدى الأسباب التي أطاحت به، رغم هذه الصفات الكريمة التي عرف بها صالح باي إلا أن أعداءه يصفونه بأنه حقود وسريع الانتقام، وأنه شديد القسوة على أعدائه ومنافسيه، إلا أننا نرى أن هذه الممارسة القاسية كانت ضرورية في الحكم والإدارة آنذاك، ولقد امتاز صالح باي بأعماله الحربية واشتهر بمآثره العمرانية، وعرف بخدماته الثقافية، وقد أشاد به كل من كتب عنه مثل الشيخ المبارك الذي قال عنه" وعمر الوطن وسعدت الناس بدولته... وأخباره مشهورة وصدقاته مأثورة"، ونوه به صالح العنتري بهذه العبارات" وصالح باي رجل عاقل له سيرة مليحة وسياسة مستحسنة حميدة، يسمع بها كلام الشاكيين وينصر بها المظلومين وهو دائما يحب العمل الصالح والخير يرتضيه... وأخذ للضعفاء والقليلين الصدقات فبذلك كانت أحواله في غاية الاستقامة و الرعية طايعة إليه ومقادة"، وقال عليه نقيب الأشراف"وحسنت أيامه وبلغ ما لم يبلغه من هو أكبر منه من الولاة" كما تميز حكم

صالح باي بفترتين مختلفتين ، أولهما أظهر فيها العدل والإنصاف وعرف أثناءها كيف يحافظ على تأييد أعيان البلد ومساندة شيوخ القبائل ،حتى أن صالح العنتري وصفه بهذه العبارة " وهو دائما بحب العمل الصالح والخير يرتضيه ويسعى في صلاح العباد ويقتنيه" وأشار إليه نقيب الأشراف بأنه "يرفق بالرعية ويحسن للفقراء"، أما الفترة الثانية وهي السنوات الأخيرة من حكمه فإنه تحول عن سيرته الأولى ،فاستبد برأيه ولم يعد يرفق بالرعية أو يحترم رأي أعيان البلد، بل بالغ في مطالبه المالية وزاد في الضرائب التي يأخذها عن سكان الأرياف، حتى أن العنتري عقب على سلوكه هذا بقوله "ولما قرب أجله وحانت وفاته تبدلت سيرته وانكشفت حقيقته وصار يظلم الناس حتى أفضى به ذلك إلى الهلاك والهاوية "،كما تعتبر نهاية حكم صالح باي حدا فاصلا بين عهدين مختلفين من الحكم التركي للجزائر ، أولا العهد الذي سبق صالح باي والذي حكم أثناءه وهو عهد عرفت فيه الجزائر الازدهار و الرقي والاستقرار خاصة قسنطينة، بينما عرف العهد الذي عقب صالح باي الثورات المتعاقبة والفتن المتلاحقة والاغتيالات الكثرة والمصادرات العديدة، وهذا بقيت أخبار صالح باي متداولة يتناقلها الرواة ،كما اكتسبت شخصية صالح باي طابعا أسطوريا مما زاد في غموض الأحداث المتصلة بها حيث اختلطت الحقيقة التاريخية بالأسطورة الشعبية وميول الرواة ، والغريب أن صالح باي رغم المدة الطويلة التي حكمها لم يحظ بمؤرخ يشيد بأعماله ويمجد بطولاته ، ولعل ذلك يرجع إلى تلك النهاية المأساوية التي انتهت بها حياته ، ولقد كان لصالح باي صدى في نفوس القسنطينين الذين قدرو فيه أعماله وخصاله التي

سبقت الإشارة إليها، كما انهمر أو في نهايته المؤلمة خاتمة لا تليق به ، بل اعتبروها إجحافا في حقه ، فلم يجدوا ردا لها سوى التأسف على عهده والتغني بمفاخره، كما يمكن القول أن صالح باي أعظم باي عرفته قسنطينة خلال تاريخ الأتراك بها، ولهذا يسمى باي البايات ويكفيه فخرا وإجلالا أن نساء قسنطينة لم يتخذن من الأسود لونا لجلابيبهن إلا حزنا عليه.

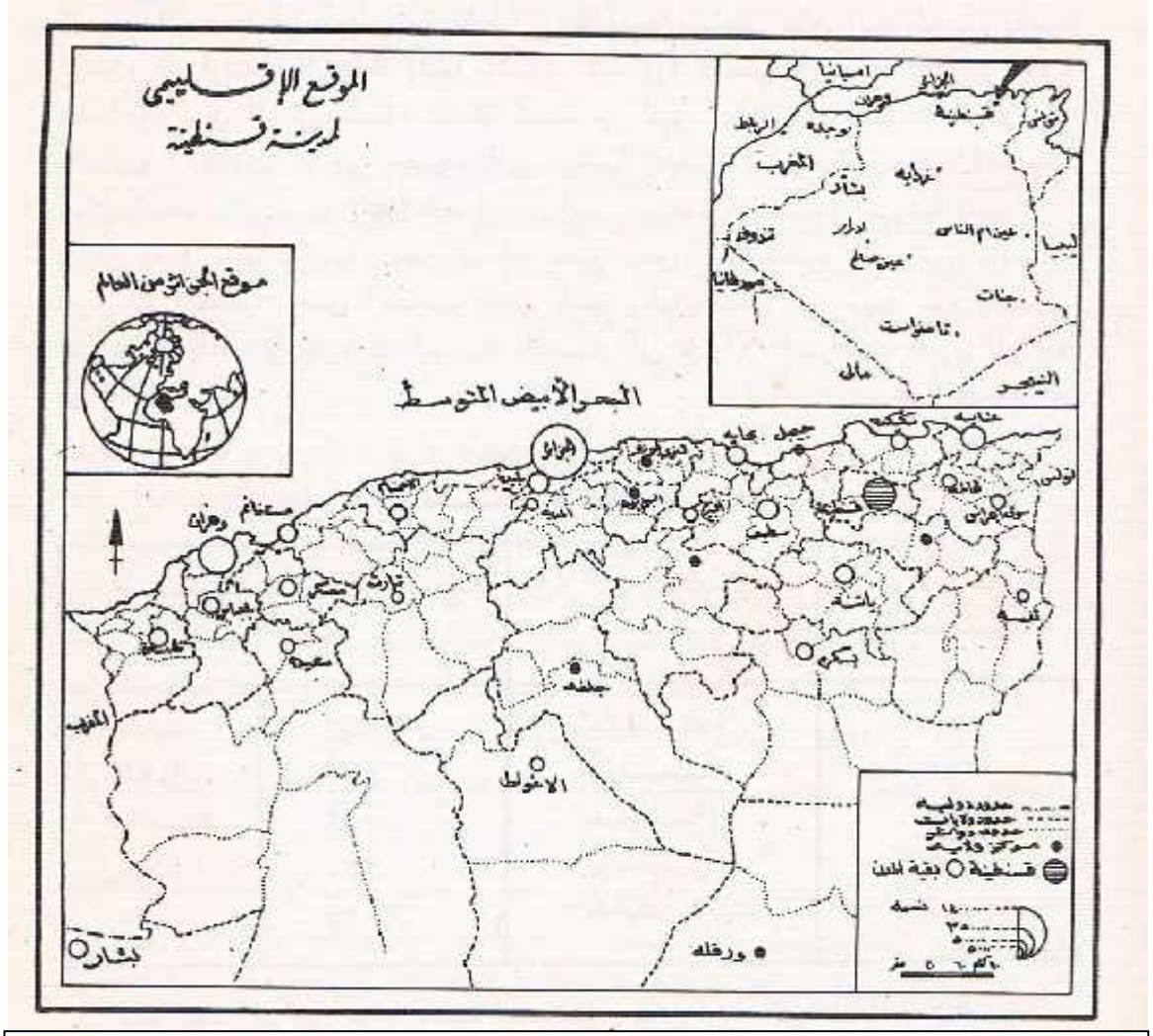

الموقع الجغرافي لبايلك الشرق

الملحق رقم (1)

محمد الهادي العروق، **مدينة قسنطينة**، ص 16

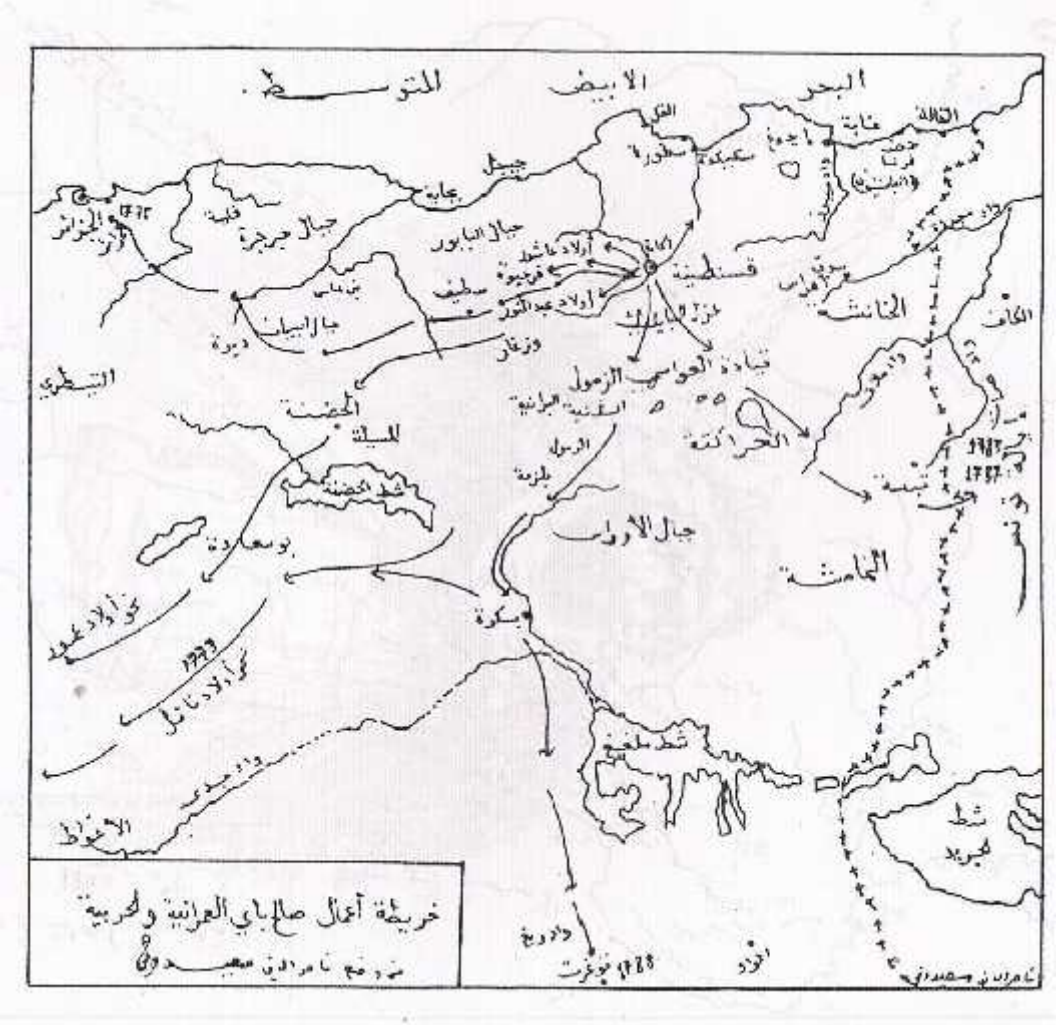

الملحق رقم(2)

ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، **المرجع السابق**، ص 365.

الفهرس

❖ قائمة المصادر:

1.حمدان بن عثمان خوجة، **المرآة**، تر:محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP،،(د.م.ن)،(د.ت).

2.الزهار أحمد الشريف، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف**، تح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1980(1

3.الزياني أبو القاسم ، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا**، تح: عبد الكريم الفيلالي، مطبعة الفضالة، المغرب، 1967.

4.العنتري محمد صالح ، **الفريدة المنسية في دخول الترك مدينة قسنطينة**، تح: يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1991.

5.محمد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تح: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشرو التوزيع، الجزائر،(د.ت).

❖ قائمة المراجع:

1. فركوس صالح ، **تاريخ الجزائر من قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال**، ط1، دار العلوم، عنابة، ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية**، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2000.

2. بركات مصطفى، **الألقاب والوظائف العثمانية** دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية (من خلال الآثار و المخطوطات)،دار غريب، القاهرة،1924 .

3. العروق محمد الهادي، **مدينة قسنطينة** دراسة في جغرافية العمران، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، .1984

4.الفيلالي عبد العزيز ، **مدينة قسنطينة**، دار الهدى، (د.م.ن)، (د.ت).

5. الزبيري محمد العربي ، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري في نهاية العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1972.

6.مصطفى أبو الضيف أحمد عمر، **القبائل العربية في المغرب**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

7.سعد الله أبو القاسم ، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.

8.عميراوي حميدة، **علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس** في أواخر العهد العثماني و بداية الاحتلال الفرنسي، دار الهدى للطبع، الجزائر، .2005

9.الجيلالي عبد الرحمن ،**تاريخ الجزائر العام**، ج3، دار الثقافة، بيروت، .1980

10.سمعون عبد الحكيم ، **النظام العثماني في المغرب الغربي**، ج2، دار المعالي، مصر، 1990.

11.معزوز عبد الحق، **كتابات الشرق الجزائري**، المتحف الوطني للآثار القديمة، مطبعة السومر، 2000.

12.سعيد دحماني، **عنابة فن وثقافة**، وزارة الاعلام، الجزائر، (د.ت).

13.عبد القادر نور الدين ، **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء العهد التركي**، مطبعة البعث، ، 1965 قسنطينة.

14.الميلي مبارك بن محمد الهلالي ، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، (د.ت).

15.العطار مبارك، **تاريخ قسنطينة**، تح: نور الدين عبد القادر، (د.د.ن)، الجزائر، 1956.

16.سعد الله أبو القاسم ، **محمد الشاذلي القسنطيني1807–1877**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1974.

17.الإمام رشاد، **سياسة حمودة باشا في تونس1782–1814**،منشورات الجامعة التونسية، (د.م.ن)، 1980.

18.العسلي بسام ، **الجزائر والحملات الصليبية(1571–1791)**، ط2، دار النفائس، بيروت، (د.ت).

19.زردوم عبد الحميد ، **تاريخ بسكرة في عهد الأتراك(1660–1844)**،(د.د.ن)،(د.م.ن)،(د.ت)، ص ص40–41.

20.بوعزيز يحي، **أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19–20م**، مجلة الثقافة، عدد63، 1981.

21.سعيدوني ناصر الدين ، **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800–1830**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،(د،م،ن)، 1979.

22.قشي فاطمة الزهراء، **قسنطينة في عهد صالح باي**، (د.د.ن)، قسنطينة، 2005.

23.المدني أحمد توفيق ، **كتاب الجزائر**،دار الكتاب، الجزائر، 1963.

24. حساني مختار، **تاريخ بايات قسنطينة**، منشورات حلب، الجزائر، 1999.

2005

❖ قائمة الرسائل الجامعية:

1.بوخاري يوسف، **الدور الديني و السياسي للأسر النافذة في قسنطينة نهاية العهد العثماني وبداية الاحتلال(1826–1837)**، مذكرة ماستر، جامعة الدكتور يحي فارس، المدية، 1015.

2.بولحبال رياض ، **أخبار بلد قسنطينة وحكامها لمؤلف مجهول**، مذكرة ماستر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010.

3.حلوش عبد القادر ، **السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر 1871–1914**،رسالة ماجستير، دمشق،1985.

4.ختو أم الخير، **صالح باي (1771–1792)**، مذكرة لنيل شهادة أستاذ التعليم الأساسي، المدرسة العليا للأساتذة في الأداب و العلوم الإنسانية، بوزريعة، 2007-2008.

5.شدري معمر رشيدة، **العلماء و السلطة العثمانية في الجزائر فترة الدايات(1671–1830)**، مذكرة ماجستير، كليةالعلوم الإنسانية و الاجتماعية، الجزائر، 2005-2006.

6.معاشي جميلة ، **الأسر الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 1988.

❖ قائمة المجلات والمقالات:

1.بوطبة عمار ، **المجتمع القسنطيني من خلال جريدة النجاح(1919–1956)**، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010.

2. بوعزة بوضرساية ، **الحاج أحمد باي**، مجلة الثقافة، العدد 112، 1969.

❖ قائمة المعاجم:

1.الحفناوي أبوالقاسم ، **تعريف الخلف برجال السلف**، تح: محمد رؤوف القاسمي، ج1، موقم للنشر،القاهرة،- 1991.

2.عامر محمود، **المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية**، جامعة دمشق، (د.ت).

3.موستراس –س ، **المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية**، تر: عصام شحادات، دار بن حزم، (د.م.ن)، (د.ت).

4.نويهض عادل ، **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، 1980.

❖ قائمة المراجع الأجنبية:

1. R.Bourouiba .**Constantine Collectien art e**t **culture** alger , 1978.

2. Vayssettes. E . **De constante sous la domination**,**histoire** , Constantine 1867

3.Ferraud .L.Ch:tournee dans la prevince de censtantine .Preue Africain N=67.1868.

4.LALOE (F.), "A propos des manuscr its arabes de Constantine", in R.A N°66 1925.

5.Mercier.E: **Histoire de Conctantine** ،edition Braham Constantine 1903.

6.Renandot. **algerie et ses environs Tobleau du Royaume de l** .imprimerie .Paris

7 .Roset et Carret, **L'Algérie**, Paris imprimerie ,1850

شكر وعرفان	
إهداء	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ- ب
الفصل التمهيدي: التعريف بباليك الشرق	
1-الموقع الجغرافي	4
2- بداية حكم الأتراك لإقليم قسنطينة	5-4
3-الأوضاع العامة بباليك الشرق	12-5
الفصل الأول: صالح باي وتوليه الحكم	
تمهيد	14
1-مولده ونشأته	15-14
2-عائلته	17-16
3-توليه الحكم	18-17
الفصل الثاني: جهوده الاقتصادية والعسكرية	
1-جهوده الاقتصادية	24-20
1-جهوده العسكرية	28-25
الفصل الثالث: جهوده الثقافية	

1-المساجد والمدارس	34-30
2-الأحياء والجسور	37-34
3-مؤسسة الأوقاف	42-37
الفصل الرابع: نهاية حكم صالح باي	
1-الأوضاع العامة قبل مقتل صالح باي	46-44
2-الأسباب الحقيقة لمقتله	50-47
3-وفاته	51
4-مصادرة أمواله	51
خاتمة	55-53
الملاحق	58-57
قائمة المصادرو المراجع	61-60

الفصل التمهيدي: التعريف ببايلك الشرق

1- الموقع الجغرافي

2- بداية حكم الأتراك لإقليم قسنطينة

3- الأوضاع العامة ببايلك الشرق قبل صالح باي

الفصل الأول: صالح باي وتوليه الحكم

1- مولد ونشأته

2- عائلته

3- توليه الحكم

الفصل الثاني: جهوده الاقتصادية والعسكرية

1- جهوده الاقتصادية

أ-الزراعة ب-الصناعة

ج-التجارة د-الضرائب

2- جهوده العسكرية

أ-الداخلية

ب-الخارجية

الفصل الثالث: جهوده الثقافية

1- المساجد والمدارس

2- الأحياء و الجسور

3- مؤسسة الأوقاف

الفصل الرابع: نهاية حكم صالح باي

1- أوضاع بايلك الشرق قبل وفاة صالح باي

2- الأسباب الحقيقية لمقتله

3- وفاته

4- مصادرة أمواله

مقدمـــــــــــة

خاتـــــــــــــمة

شكـــــر وعرفـــــان

قائمة المصادر والمراجع

الملاحـــــــــق